جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد (١٤١)

# النبى الخاتم ﷺ

أ.د /عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

القاهرة

ربيع أول ١٤٢٨هـ - أبريل ٢٠٠٧م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

# النبى الخاتم ﷺ

أ . د /عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

العـــدد ( ١٤١ )

القاهـرة

ربيع أول ١٤٢٨هـ - أبريل ٢٠٠٧م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

* ما ينشر فى هذه السلسلة يُعبر عن رأى كاتبـــه،ولا يُعـبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمـــة

# الحق أحق أن يتبع

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ،،،**

فبعض الناس يطلقون لأنفسهم الحرية فى الرأى . ويتوسعون فيـــها لتدخل فى مجال محظور ، فليس من حق إنسان الخـــروج علـــى العقـــائد والقواعد وثوابت الأحكام الشرعية .

ففى الإسلام عقائد يجب الإيمان بها ، والتسليم بمضمونـــها وهـــى : الإيمان بالله تعالى ، والإيمان برسله والكتب التى أنزلها عليهم ، والإيمـــان بالملائكة وباليوم الآخر ، وأصول الشريعة الصحيحة .

وعلى رأس هذه العقائد الإيمان بوجود الله ، ووحدانيته ، وتنزهه عن الشرك فى الخلق والعبادة وأنه وحده الذى يملك الضر والنفع . قال تعالى : **﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن لـــه كفـــواً أحد ﴾** (١) .

---

(١) الإخلاص : ١ــ٤ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين** ﴾ (١) .

ويجب الإيمان بأن الله تعالى اختار من عباده رسلاً مبشرين ومنذرين من قص علينا ومن لم يقصص ، قال تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ (٢) .

وهؤلاء الرسل الذين بعثهم الله إلى الناس ــ لهدايتهم ــ طبيعتهم بشرية مثل سائر الناس ، ولكن الله تعالى اصطفاهم ، وخصهم بما شاء من الصفات والتكوين حتى أصبحوا أهلاً لتلقى الشرائع الإلهية ، وأن يحفظوا ما بُلِّغ إليهم كما تلقوه من غير زيادة أو نقص أو تغيير ، وقد بلغوا ما نزل إليهم إلى الناس ووجهوهم للعمل بمقتضاه وتطبيق مبادئه فى الحياة .

وهم فى ذلك كله مبلغون عن الله ــ عز وجل ــ معصومون عن الخطأ فيما يبلغونه عنه ، وهى درجة اصطفاء لا يرتفعون بها عن منزلة البشرية ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية** ﴾ (٣) ، وقال عز حكمه : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد** ﴾ (٤) .

---

(١) الأنعام : ١٤ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) الرعد : ٣٨ .

(٤) الكهف : ١١٠ .

ونحن نؤمن بهؤلاء الرسل كما أخبرنا الله تعالى عنهم مع أننا لم نرهم ، وهم غيب بالنسبة لنا ، لكنهم ليسوا غيباً عن أممهم الذين أرسلوا إليهم لأنهم رأوهم أو رآهم المعاصرون منهم للرسل ، والإيمان بالغيب واجب ، وهو أعلى درجات الإيمان كما قال جل شأنه : ﴿ **آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ..** ﴾ [1] إلخ .

فالرسل الذين اختارهم الله ، واصطفاهم ، وعصمهم فيما يُبلِّغون عنه لا يصح تناولهم بغير ما ثبت لهم من الطهر والنقاء والعصمة في أداء الرسالة التي كُلفوا بها ، ولا يجوز أن يقتحم إنسان ساحتهم ، وأن من ينال منهم يكون قد تنكب الطريق وضلَّ سواء السبيل .

ومن لا يحفظ للرسل كرامتهم ، ويصونها يكون كهؤلاء الذين تحدث القرآن الكريم عنهم وذمهم لأنهم آذوا رسل الله ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ..** ﴾ [2] . ومن يسيء إلى رسل الله بالافتراء عليهم يكون قد سلك مسلكاً سيئاً يستحق عليه الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ .. **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ [3] .

ولذا يجب على المؤمن احترام الرسل وإعطاؤهم ما يستحقون من تقدير وتعظيم وإجلال ، لكن لا يجوز الخروج بهم عن طبيعتهم البشرية .

---

(١) البقرة : ١ــ٣ .

(٢) الأحزاب : ٦٩ .

(٣) التوبة : ٦١ .

فيأمر القرآن الكريم المسلمين إذا كانوا فى مجلس من مجالس رسول الله ﷺ ألا يخرجوا من المجلس إلا بعد استئذانه ، بقول سبحانه وتعالى : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾** [١] .ويجب عليهم إذا خاطبوا الرسول ﷺ أن يراعوا أصول اللياقة والأدب والتكريم فيقول سبحانه : **﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾** [٢] . ويجب أن يكون الناس تبعاً للرسول فيما يأمر به أو ينهى عنه لا يتقدمون عليه بقول ، ولا بفعل . يقول المولى سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾** [٣] .حتى الأصوات لا ينبغى رفعها فى مجالسه ﷺ . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾** [٤] .

وفى هذه الأيام اجترأ بعض الناس على الكتابة عن ( التحليل النفسى للأنبياء ) وقد فهم هؤلاء الحرية فهماً غير صحيح . واستغلوها بشكل ضار فى التدخل فى الدين وأحكام الشريعة ظناً منهم أنهم من أولى العلم لمجرد أنهم دارسون لبعض الأمور ، وقد سولت لبعض هؤلاء نفوسهم أن يقتحموا حرم المقدسات والأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم وأصول العقيدة ،

---

(١) النور : ٦٢ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) الحجرات : ١ .

(٤) الحجرات : ٢ .

وما كان يليق بهم أن يسلكوا هذا المسلك ، وكان الواجب أن يرعوا الإيمان بصحة الغيب وصحة الأخبار ؛ فكيف يزيف هؤلاء ما لا يليق بخصائص الرسل الكرام مع أنهم غيب عنا لم نرهم ، ولم يروهم ، وكيف تطبق مقاييس يتصف بها أفراد من البشر لم يعدُّوا للرسالة على هؤلاء الذين اصطفاهم الله وهيأهم لنقل وحيه ورسالاته للناس .

إن هؤلاء واهمون ولا يليق بهم الدخول إلى ما ليس من اختصاصهم كما أن بعض الناس اجترأ ــ أيضاً ــ بالنيل من سيرة رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وافتروا عليه ما هو من صفاتهم هم فرموا ساحته وأتباعه بالإرهاب ، وأنه وأتباعه يتصفون بالعنف والعدوان على الآخرين ، وكذبوا ــ فيما زعموا ــ وعليهم أن يقرأوا سيرته ﷺ ففيها المقنع لهم مما توهموه أو افتروه .

ولأن الرجل والمرأة فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من بلاد غير المسلمين لا يعرفان إلا القليل من هذه السيرة وقد تصله مزيفة عليها غبار الكذب والافتراء . لذلك آثرت أن أعرض فى هذا الكتاب خلاصة وافية عن الرسول الكريم ودينه الحنيف ليطلع عليه الآخرون ــ فى لغته العربية ــ أو مترجماً إلى لغات العالم . ولعلهم يعرفون الحقيقة الناصعة التى تدمغ المكذبين والمفترين ولعل ذلك يقودهم إلى الاعتراف بالحق والدخول فيه .

فالإسلام هو دين العدل ، والحرية ، والمساواة ، والإخاء بين جميع الناس ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [1] .

وهذا الكتاب يوضح السيرة النبوية العطرة للنبى الخاتم ﷺ ، وهو يتناول حياته ﷺ ، ومنهجه فى نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وخصائص رسالته التى تؤكد صدق ما جاء به ﷺ عن الله عز وجل ، وقد قمنا بتقسيم الكتاب إلى جزءين ، نعرض فى الجزء الأول لبابين :

## الباب الأول : ( نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه ) .

ونجيب فيه على أسئلة عديدة عن محبة الله ورسوله وعن ميلاد النور المحمدى والإرهاصات التى رافقت هذا المولد ، وكيف كان ميلاده ﷺ سقوطاً للشرك ، وإنقاذاً للبشرية ، وما الذى حدث للسيدة حليمة السعدية فى شأن إرضاعه ﷺ .

وكيف حدث شق صدره ﷺ ؟ وهل رعى الغنم ؟ وما أثر ذلك فى حياته ﷺ ؟

ما صفاته ﷺ ؟ وكيف أنه النبى المصطفى ؟ وتكنيته بأبى القاسم ، وتلقيبه بأنه حرز للأميين وأنه نبى الملحمة .

كيف كانت أخلاقه ﷺ ؟ وعلى أى أساس قامت ؟ وأنه الرحمة المهداة .

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

وكيف كانت آدابه وسلوكه مع الناس ؟ كسلوكه مع من جذبه بردائه ، وسلوكه مع من يصافحه ، وابتسامته لأصحابه ، ومشاركته للناس فيما يتكلمون فيه ، ومشاركته فى مهنة أهله ، ماذا عن زهده ﷺ فى حطام الدنيا ؟ وشظف العيش فيها واستبقاء الطيبات بما يدل على أنه لم يكن يبغى رياسة أو ملكاً أو سلطاناً .

## والباب الثانى : ( منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله ) .

ونتناول فيه البعثة المحمدية . والذى أمر به ﷺ فى شرح دعوته للناس ؟ من أقاربه ، ومن أهل الكتاب ، بالحسنى ؟ .

وكيف تقوم الدعوة على أساس الحوار والنقاش ، وأن العقل يحظى فى الدعوة الإسلامية بمقدار كبير من التكريم ، وما كان يشيع من فكرة وراثة العقيدة ، وأن الإسلام أبطلها إذ أنها كانت خاطئة .

كيف وضح رسول الله ﷺ خطأ عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها ، وكيف أثبت صحة عقيدة التوحيد ؟

وكيف حاول المشركون صرفه ﷺ عن الدعوة إلى التوحيد ؟ وماذا فعل معهم ؟ وما موقف عمه أبى طالب من دعوته ؟ وكيف حاوره ، وكيف ثبت ﷺ على المبدأ ، وثبت المسلمون معه ؟

كما يتناول الإجابة على أسئلة متنوعة حول تصميمه ﷺ على إنجاح دعوته وقوة إرادته وأنه فى سبيل ذلك كان يفكر فى طرائق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش ، وما جرى من حديث إسلام عمر ، وحديث إسلام ركانة ، والحصافة التى كان يتمتع بها رسول الله ﷺ وعقد الندوات بطلب

الخصوم ، وكيف كان ﷺ يسمع الاعتراضات ويجيب عليها ثم يطرح مسائل الدعوة وخصائصها ؟

وكيف كان حدبه ﷺ على المدعوين ، ورعايته لهم ؟

بيان أن الدعوة الإسلامية ليست دعوة العنف أو القسوة ، بل طريقها الحسنى والرفق والسماحة . ونماذج من معاملاته ﷺ مع عداس وسويد ابن الصامت ، وغيرهما .

وكيفية البحث عن أرض جديدة لنشر الدعوة ، وعرض نفسه ﷺ على بعض القبائل تمهيداً للهجرة وما نجم عن ذلك من بيعتى العقبة الأولى والثانية وأثرهما فى التهيئة لانتشار الدعوة .

والحديث موصول ــ فى امتداد هذا الكتاب ــ عن الهجرة إلى المدينة ، وحسن التخطيط لها وما أدت إليه من قيام الدولة الإسلامية .

وكذلك المعالم البارزة فى الهجرة النبوية القئمة على صدق عزيمة المهاجرين والصبر على المكاره ، والانتصار بالله حين وضح قصور الحماية البشرية ، والتوجه إلى مواطن جديدة ترعرعت فيها الدعوة ، وتحقق نصر الله فيها ، والتعاون بين المهاجرين والأنصار والقضاء على شح النفوس .

وكيف كانت التضحية من قبل المهاجرين بالأموال والأنفس وكيف حقق ذلك للمسلمين أن يملكوا زمام الدنيا وتتحقق لهم السيادة فيها .

وكيف كانت سياسته ﷺ فى المدينة بحيث عمل رسول الله ﷺ على أن يكون المهاجرون والأنصار يداً واحدة .

وكيف آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وآثار هذه المؤاخاة على الإسلام والمسلمين .

وكيف أبرم رسول الله ﷺ معاهدات مع يهود المدينة ، وكان عهده ﷺ أمانا لكل سكان المدينة من أصحاب الديانات الأخرى ، وكيف يعامل الإسلام أهل الذمة في بلاد المسلمين ؟

كما يتناول هذا الباب ــ أيضا ــ الجهاد في الإسلام ومنهج الرسول ﷺ في أن يكون القتال دفاعا لا هجوما .

وفيه نفند ما شاع بين بعض المستشرقين من أن الإسلام انتشر بحد السيف .

ونبين متى يلجأ المسلمون إلى القتال ، ومدى مشروعيته في الإسلام وأنه كان لدفع الظلم والعدوان

كما نتحدث عن أنصار المسلمين في بدر وهل كان الإسلام معتديا ؟ وما أسباب دفاع المسلمين في بدر ؟ وهل كان المسلمون وحدهم في الميدان أو أن الله تعالى أمدهم بجنود من عنده ؟

ونتحدث عن قدوم النبي ﷺ معتمرا في العام السادس من الهجرة وكيف وقفت قريش منه موقفا متعنيا لصده عن دخول مكة . وكيف عقد صلح الحديبية ، وماذا كان من الشروط القاسية على المسلمين ، وحكمة الرسول ﷺ في التعامل معها ، وفتح صلح الحديبية القلوب المغلقة للإسلام .

وما يقولون من أن صلح الحديبية كان سبباً فى فتح مكة ، وهل كان توجيه الرسول ﷺ لفتحها فى جيش كبير تسلطاً على أهل مكة أو كان مثالاً للرحمة بهم .

ونوضح أن هذا الفتح كان فتحاً سليماً لم ترق فيه الدماء وعفا فيه الرسول ﷺ عن مناوئيه ولم ينتقم من أحد ، فكان يوم الفتح يوم بر ووفاء .

ومنهجه ﷺ منهج تأمين الناس على حقوقهم وكيف كان له ﷺ من الحلم والكرم ما أدى إلى إنجاح الدعوة ، مثل حلمه ﷺ مع صفوان ابن أمية ، ومع أبى سفيان ، ومع بعض من اعترض عليه ﷺ فى بعض تصرفاته وتقسيم بعض الغنائم .

كيف يتناول هذا الباب ملاقاة الرسول ﷺ لبعض الوفود القادمين من بعض نواحى الجزيرة ، ليعم الإسلام جوانبها ، وكذلك كتب رسول الله ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من العرب كيهود خيبر ، وقوم رفاعة بن زيد الجذامى ، ومخلاف خارف باليمن .

ويتناول ــ كذلك ــ منهج الإعلام الخارجى بإرسال كتبه ﷺ إلى ملوك العالم ودوله الكبرى آنذاك .

ونوضح هدف هذه الكتب وما تحتوى أرسلها إلى كسرى وهرقل والمقوقس ، وماذا كان ردهم عليه . كذلك الكتب الأخرى التى أرسلت إلى غير هؤلاء .

وكذلك تصحيحه ﷺ الفهم لأحكام الإسلام وكيف كان يوجه من أخطأ فى فهم الدين كالذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ كأنهم تقالوها . ماذا فعل معهم ، وستره حال المسلمين حتى مع مخالفتهم له فى الرأى .

وما هو مقرر من أن دعوة الإسلام هى دعوة التيسير على الناس وتجلى ذلك فى تعامله ﷺ كحديثه مع الأعرابى الذى سأله عن الإسلام وفرائضه .

وحديثه مع معاذ بن جبل حين بعثه ﷺ إلى اليمن ونحو ذلك .

وكيف كان الرسول ﷺ يجمع بين الترغيب والترهيب فى دعوته للناس ، وما يشتمل عليه القرآن الكريم من هذين الأمرين وكذلك السنة النبوية المطهرة وماذا عن صفة التواضع فى الإسلام ؟ وتواضع رسول الله ﷺ وأثره فى الدعوة .

ومن الأمور المهمة بيان ما تشمل عليه خطبة الرسول العالمية فى حجة الوداع من المبادئ التى تدل على سماحة الإسلام وتعد وثيقة عالمية لحقوق الإنسان قبل أن توضع وتظهر وثائق حقوق الإنسان فى العالم .

**المؤلف**

# الباب الأول

## نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه

# حب رسول الله ﷺ

يجب علينا جميعاً ــ شرعاً ــ أن نحب الله تعالى ونحب رسوله محمداً ﷺ ويجب أن نعلم أولادنا حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ فذلك من أسس الإيمان ، ومن ذاق طعم هذا الحب عرف اللذة الحقيقية وحلاوة الإيمان قال عليه الصلاة والسلام : " **ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار** " .

فحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ مقدم على حب الناس جميعاً من الوالد والولد ومن نفس الإنسان التى بين جنبيه واتباع رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه من الكتاب والسنة هو علامة الحب الحقيقى لأن الحب ليس كلمة تقال دون أن يكون لها صدى وتأثير ؛ فإذا لم يكن لها صدى وتأثير ، ولم تجاوز الحناجر كانت نفاقاً لا حباً ، ومن أراد أن يعطى دليلاً على حبه لله فليطع رسول الله وإذا أطاع رسول الله فتلك علامة الحب . وطاعة العبد تؤدى إلى حب الله له ، وحب الله للإنسان علامة السعادة فى الدنيا والآخرة ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [1] .

---

(١) آل عمران : ٣١ .

أما من عصى الله ورسوله ولم يعمل بما جاء فى الكتاب والسنة فهو بعيد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ويبغضه الله تعالى لإنكاره نعم الله تعالى عليه وإذا أبغض الله عبداً أشقاه وحرمه من رحمته وكتب عليه التعاسة فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ [1] .

فعلينا أن نسارع إلى أداء فرائض الله تعالى علينا ونعلم أبناءنا وبناتنا أن حب الله وحب رسوله ﷺ واجب بالسلوك المستقيم والعمل الصالح النافع حتى نسعد بهذا الحب ونحقق التوفيق والنجاح فى هذه الحياة . وننال أعظم الدرجات عند الله فى الآخرة .

---

(١) آل عمران : ٣٢ .

# الميلاد المحمدى وتصحيح مسار الإنسان

يمر بنا التاريخ لنتذكر يوم ميلاد نبى البشرية محمد ﷺ ، إن المقصود بذكرى هذا اليوم ذكرى إسداء التوجيه . والنصح ، والدلالة على الخير فى حياة المسلم كما قال تعالى : **﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾** (١) .

إنه يوم ميلاد خاتم النبيين ، فحين قيل له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى لى ، ورؤيا أمى التى رأت .

لقد بدا النور المحمدى حين حملته أمه آمنة ، ووضعته ، ورأت هذا النور يخرج منها ، وينتشر حتى يضئ قصور بصرى بالشام . إن يوم ميلاده ﷺ كان يوماً مشهوداً دلت الإرهاصات على عظم مولده ، وحقيقة أمره ، يوم ميلاده ﷺ هزم الله تعالى أصحاب الفيل ، وردهم مدحورين ودافع عن البيت الحرام ، كان دفاع الله تعالى أقوى من الجيوش الجرارة حين قدمت الطيور تحمل القنابل الفتاكة بالداء العضال فكان حدثاً

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

له ما بعده من نصرة الحق ، واستقامة الحياة ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ [1] . أى كورق الزرع إذا أكلته الدواب أو كالتبن .

وقد قلت فى ذلك :

**فأبرهة الطاغوت إذا جاء جمعه**

**وأفياله قد آزرتها الجحافل**

**يريدون إخفاء الشعاع لشعلة**

**أضاءت عنان البيت منها القناديل**

**حمى بيته الرب القدير محصنا**

**ورد عداة الله عنه أبابيل**

يوم ميلاده ﷺ تصدع إيوان كسرى هذا القصر المشيد الذى كان يعج بالعصيان ، والمجون ، ويقوم عليه أحد جبابرة الأرض من الطغاة ، وبينما هو ومن حوله فى غامر اللهو إذ بشرفات القصر تتهاوى كلها ، وهى كثيرة قيل إنها بلغت أربع عشرة شرفة ، كما يذكر كتاب السيرة ، وقد أرسل كسرى فى الآفاق يبحث عن سبب هذا الانهيار ثم علم ـ بعد البعثة ـ أنه النور المحمدى .

لقد كان ميلاده ﷺ سقوطا للشرك ، وعبادة غير الله ؛ فحين مولده ﷺ خمدت نار كسرى ، وكانت مؤججة أكثر من ألف عام لم تنطفئ ،

---

(١) الفيل : ١ـ٥ .

وحولها عبادها من المجوس ، وكان هذا الخمود للنيران إيذانا ببدء المعرفة الإلهية الحقة بالعودة إلى التوحيد وشرع الله الذى يعد امتـــدادا للرســـالات الإلهية كما قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والـــذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الديـــن ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (١) .

وقلت فى ذلك :

**ونار تلظى يعبد الفرس جمرها**

**تشـــب لهـــا مـــن ألف عام مراجل**

**وبينا عبيد النار يجثون حولها**

**إلههـــم المأفـــون بئـــس العبـــادل**

**أتى يوم ميلاد النبى فأخمـــدت**

**له نار كسرى واستشـــاط العواهل**

**تصدع إيوان كسرى وقـــد هـــوت**

**بـــه شرفـــات حطمتـــها الـــزلازل**

لقد كانت لحظة الميلاد المحمدى لحظة إنقاذ للبشرية مـــن متاهـــات الشرود والضلال . وتوجيها لها إلى الصراط المستقيم . وكان مقدمـــه ﷺ قضاء على الجهل ، والتخلف . وإقامة لبناء الإنسان بناء حضاريا ســـليما فى هذا العالم على أساس من الفكر الحر . والدعوة بالحســـنى والحـــوار

---

(١) الشورى : ١٣ .

والتفاهم ، لا بالسيف والاغتيال ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [1] .

وقد رسم طريق التواصل ، والتراحم بين الناس ، فهو القائل ﷺ : **[ إنما أنا رحمة مهداة ]** .

وقلت فى ذلك :

**وهذا رسول الله طفلا ومولدا**

**أزاح ستار الجهل كيف التجاهل**

**أقام بناء للحياة قوامه**

**تحاور فكر لا سيوف غوائل**

**وقرب بين الناس كى يتعارفوا**

**على وحدة يزداد فيها التواصل**

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

# مولد الرسول ﷺ
# وكيف نحتفل به

إن الرسول ﷺ نور كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ [1] . وقد كان هذا النور المحمدى فى ظهر آدم ـ عليه السلام ـ كما قال ﷺ : **[ كنت فى ظهر آدم وإن آدم لمنجدل فى طينته ]** وتنقل هذا النور حتى وصل إلى ظهر أبيه عبد الله ـ رضى الله عنه ـ يقول ﷺ : **[ إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار ]** .

وكان هذا النور ظاهراً فى وجه والده عبد الله حتى إن فتيات مكة كن يعرضن عليه الزواج منه لتحظى كل واحدة منهن بهذا النور إلى أن استأثرت بهذا النور والدته السيدة آمنة بنت وهب ـ رضى الله عنها ـ فأعرضت نساء مكة عن عبد الله لاستقرار النور المحمدى فى والدته الطاهرة ، وقد قالت السيدة آمنة حين حضرها المخاض : **رأيت نوراً يخرج من بطنى فيضئ قصور بصرى بالشام** .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ـ٤٦ .

وما أنزل على النبى ﷺ من القرآن والسنة نور يهدى البشرية من ضلالها قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ (١) .

وقد ولد ﷺ فى يوم الإثنين ، ويحسن الاحتفال بهذا المولد الذى عم البشرية نوره وأنقذها من ضلالها وطهرها من الرجس والفسوق والعصيان إلى نور الطاعة لله الواحد سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (٢) .

ويكون الاحتفال بقراءة سيرته وتذكر ما نزل عليه من الكتاب والسنة وتعلّمها وتعليمها ، والعمل بها ونشرها فى الناس .

وقلت فى ذلك :

**قدوم إلى الدنيا به الدين كامل**

**ونور من العلياء بالوحى نازل**

**تجلى يعم الكون عدلاً ورحمة**

**وتملأ رحب الخافقين الفضائل**

---

(١) الشورى : ٥٢ــ٥٣ .

(٢) الجمعة : ٢ .

أطل به والناس فى جاهليـــة

يسامون بالبغضاء والظلم صائل

وعاث كثير يجعلون هواهـــم

عبادة غير الله والعقـــل غافـــل

فقيل رسول سوف يظهر أمره

ويختم رسل الله والرشـــد آيـــل

# رضاعته وشقّ صدره

أرضعته حليمة ابنة أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث كما يقول ابن هشام : خرجت حليمة إلى مكة تريد طفلاً ترضعه مع صاحباتها وكان الكل يبعد عن محمد لأنه يتيم ، ولم تجد غيره وأخذته مضطرة وعندما عادت به وركبت رحلها جاء الخير إليها ؛ فانساب لبنها لترضع محمداً وأخاه وكان لبنها قد جف من قبل ، وأسرعت راحلتها وقد كانت لا تقوى على السير ، وعندما وصلت عم الخير ديارها ، وازدهر العشب لرعى غنمها بعد أن كان المكان مجدباً مما أثار عجب المحيطين بها .

ويقول ﷺ : بينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى غنماً لنا إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، ثم أخذانى ، فشقا بطنى ، واستخرجا قلبى فشقاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبى ، وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه .

وهذا كان فى حال الطفولة لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليُطهَر من كل شئ ذميم ، حتى لا يلتمس بشئ مما يعاب على غيره من الناس ، وحتى لا يكون فى قلبه شئ إلا توحيد الله تعالى .

قال : فوليا عنى ــ يقصد الملكين ــ وكأنى أعاين الأمر معاينة .

وشُقَ صدره ﷺ بعد الكبر عندما أراد الله تعالى أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة ليلة الإسراء والمعراج .

وعن رعيه الغنم يقول : **ما من نبى إلا وقد رعى الغنـــم ، قيـل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا .**

فقد كان يرعى الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه رعاها بمكة- أيضاً- على قراريط لأهل مكة ، ذكره البخارى.

وقد ردته حليمة إلى أمه ــ بعد حادث شق الصدر ــ وكانت سـنه خمس سنين وشهراً ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين إحداهما بعد زواجه من خديجة ــ رضى الله عنها ــ والمرة الثانية يوم حنين .

وقلت فى ذلك :

**محمـد لمـا أرضعتـه حليمـة**
**تفتـح سـر للرسالـة هائـل**
**رأت لبناً يهمـى بثـدى رضـاعه**
**وكم أرضعت من قبل والثدى هامل**
**وعيرتها جلّت وقد كانـت مشيهـاً**
**وئيـداً وأعيـا عيـرهـن التثاقل**
**فأيقـن بالخيـرات زوج حليمـة**
**وأبشـر إن الطفـل باليمـن نائل**
**وترعى سوام الناس فى القفر مجدباً**
**وبعشب فى مـرعى حليمة ماحل**
**وجبريل شـق الصدر أخرج مضغة**
**بوسوسة الشيطان والبرء عاجل**
**وكيف يروم النـاس حـظ نبـوة**
**هى المعجزات الباهرات الدلائـل**

# صفة النبى ﷺ

جاء فى وصف الإمام على لرسول الله ﷺ أنه كان ربعة من القوم أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، شثن الكفين إذا مشى تقلَّع ( التقلُّع : المشى بقوة ) كأنما يمشى فى صَبَب ( الصَبَ : الانحدار ) وإذا ألتفت التفت معاً ، أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وأوفاهم بذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفى حديث آخر لعلى كرم الله وجهه : ( كأن عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالعاجز ، ولا اللئيم ) .

وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : لم يكن النبى ﷺ بالآدم ، ولا الأبيض الشديد البياض ، فوق الربعة ، ودون الطويل ، كان من أحسن من رأيت من خلق الله تعالى ، وأطيبه ريحا وألينه كفا .

وقال أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن صفة النبى ﷺ : كان أحسن الناس صفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ما هو ، بعيد ما بين المنكبين أسيل الخدين ( ليس مرتفع الوجنة ) شديد سواد الشعر ، أكحل

العينين ، أهدب إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس أخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ . لم أر قبله ولا بعده .

وفى حديث أم معبد الخزاعية : أن النبى ﷺ مرّ بها فى أثناء هجرته ، وهى فى خيمتها ، وكانت برزة جلدة ، تحتبى بفناء القبة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمراً أو لحماً يشترونه منها ، فلم يصيبوا شيئاً ، وكان القوم مرملين ( أى قد نفد زادهم ) مُسنتين ( أى داخلين فى السَّنة والجدب ) فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة ( أى فى جانبها ) فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلّفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى وأمى إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بها فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله ، ودعا لها فى شأنها ، فتفاجَّت عليه ( أى ما بين رجليها ) ودرت ، واجترّت ، ودعا بإناء يربض الرهط ــ يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا ــ الرهط من الثلاثة إلى العشرة ) فحلب ثجا ( الثج : السيل ) حتى علاه البهاء ( وبيض رغوة اللبن ) ثم سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ( وفى رواية ثم أراضوا : ( أى ناموا على الأرض ) ثم حلب ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها فقلَّما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً ( يتمايلن من الضعف ) فلما رأى أبو معبد اللبن تعجب وقال : من أين هذا يا أم معبد والشاة عازب ( بعيد فى المرعى ) حيال ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : لا والله إلا إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال صفيه لى :

قالت : رجل ظاهر الوضاءة ( أى طاهر الكمـــال ) أبلـج الوجـه ( مشرق الوجه مضيئه ) حسن الخلق لم تعبه ثجلة ( عظـم البطـن مـع استرخاء أسفله ) ولم تزر به صَعلة ( صغر الرأس ) وســيم ( مشـهور بالحسن كأن الحسن صار له سمة ) قسيم ( الحسن قسمة الوجه ) فى عينيه دعج ( شدة سواد العين ) وفى أشفاره وطف ( طول ) وفى صوته صحـل ( شبه البحة ) وفى عنقه سطع ( طول العنق ) وفى لحيتـه كثافـة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلـو المنطـق ، فصـل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا يأئس مـن طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ( أى لا تزدريه لقصره فتجـاوزه إلـى غيره بل تهابه وتقبله ) غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثـة منظـراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقولـه ، وإن أمـر تبادروا إلى أمره ، محفود ( مخدوم ) محشود ( الذى يجتمع الناس حوله ) لا عابس ولا مفند ( المنسوب إلى الجهل وقلة العقل ) . قال : أبو معبـد : فهذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ولقد هممـت أن أصحبـه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

# المصطفى ﷺ

يروى الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : [ **إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم** ] .

وهذا كما اصطفى الله تعالى الرسل جميعاً ﴿**الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس**﴾ (١) ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ (٢) ﴿ **قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى** ﴾ (٣) .

وهو ﷺ ( مصطفى ) من ناحية ظهارة نسبه من سفاح الجاهلية ، ورباه مولاه على الفطرة النقية فلم يتدنس بشىء من أدناس الجاهلية منذ ولادته ، ونقى قلبه وحفظه من الشيطان ، وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك أن جبريل أتى النبى ﷺ وهو صغير فشق عن قلبه واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك .

---

(١) الحج : ٧٥ .

(٢) آل عمران : ٣٣ .

(٣) الأعراف : ١٤٤ .

كما عصمه ﷺ من أشياء كثيرة فحفظه من تسلط أعدائه عليه : **﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾** [1] . **﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾**[2] . وكمل الحق سبحانه لرسوله ﷺ كل المحاسن من الخلق الحسن والخلق العظيم وتذكر كتب السيرة شمائله ﷺ ، واصطفاءه بالوحى **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾** [3] ، وجعله خاتم النبيين **﴿ ما كان محمدُ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾** [4] ، وهو المكمل لبناء الأنبياء جميعاً ومظاهر اصطفاء الله تعالى لنبيه كثيرة لا يمكن حصرها .وهذا من حب الله تعالى له ، كما يوجب ذلك محبة العباد له ﷺ .

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) النجم : ٢ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الأحزاب ٤٠ .

# أبو القاسم ﷺ

هذه كنية لرسول الله ﷺ تكنى بها فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ فيما أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : [ لا تجمعوا اسمى وكنيتى أنا أبو القاسم ، الله يعطى وأنا أقسم ] كان رسول الله ﷺ يقسم بين أصحابه ما أفاء الله عليهم من الغنائم والنفل كما قال تعالى فى غنائم بدر ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ (١) ، وقد قالوا : إنه ﷺ كنّى باسم ابن له اسمه القاسم ، وكان له ﷺ أربعة من البنين هم الطاهر ، والطيب ، والقاسم ، وإبراهيم .

ويجوز فى الإسلام تكنية الرجل باسم ولد من أولاده فيقال أبو فلان ويجوز أن يكنى من ليس له أولاد ، ويجوز أن يكنى باسم من غير أسماء أولاده مثل أبى بكر ولم يكن له ابن يسمى بكراً وأبى حفص ــ كنية عمر ابن الخطاب ــ ولم يكن له ابن مسمى بهذا الاسم .وهل يجوز التسمية بكنية النبى ﷺ فيقال لشخص ما : أبو القاسم ؟ اختلف العلماء فى ذلك فبعضهم منع لقول رسول الله ﷺ : تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ؛ فإنما انا قاسم أقسم بينكم ، وعد هؤلاء التسمية بكنيته أمرا مكروها وبعضهم أباح ذلك ، لأن بعض الصحابة سموا باسمه ﷺ وكنوا بأبى القاسم ،

---

(١) الأنفال : ١ .

وبعضهم منع الجمع بين اسمه ﷺ وكنيته كمفهوم بعض الأحاديث ( لا تجسعوا ) إلخ ، وبعضهم قال إن ذلك جائز بعد وفاته ﷺ وكان ممنوعاً فى حياته فحسب وهو الراجح .

# حرز الأميين ﷺ

يقول تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [1] . وروى البخارى عن عطاء ابن يسار قال : ( لقيت عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ قال :أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : " **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل** " .

والحرز هو الموضع الحصين ، وتقول :هو فى حرز لا يوصل إليه ، ويقال : أحرزْتَ الشيء : إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ ، واحترزت من كذا وكذا : إذا توقيته ، والحرز ما يلجأ إليه من مكان وغيره .

فالنبى ﷺ يحافظ على أمته ويجعلها فى أمن وأمان وذلك بتلاوة كتابه المعجز والعمل بما فيه والانتفاع به :﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف**

---

(١)الجمعة : ٢ ــ ٤ .

**وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾** [1] .

ويقول ﷺ : **[ أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى ]** . وفى رواية وأنتم تقتحمون فيها ، فهو ﷺ بما جاء به عن ربه يحفظ الأمة ويصونها ويمنع عنها كل ما يضرها أو ينال منها .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .

# نبى الملحمة ﷺ

عن أبى وائل عن عبد الله قال : لقيت رسول الله ﷺ فى بعض طرق المدينة فقال : [ أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأنا الحاشر ونبى الملحمة ] رواه الترمذى فى الشمائل وإسناده حسن ، والملحمة لها أكثر من معنى :

قيل : هى الحرب ذات القتل الشديد يقال : فلان لحم فلاناً أى قتله أو قرب منه حتى لزق به ، ولحمه أى ضربه فأصاب لحمه ، واللحيم : القتيل ، والملحم : الذى أسر وظفر به أعداؤه فمعنى ( نبى الملحمة ) أى نبى القتال ، وهو فى الحديث : بعث بالسيف وهو يقصد قتال أعدائه الذين اعتدوا عليه ، وأنه شجاع يرد كيد العدو فى نحره ، وكان إذا حمى الوطيس لم يكن أحد أقرب إلى العدو من رسول الله ﷺ ، وكان ينادى المنهزمين ــ فى أحد وفى حنين ــ قائلاً : [ يا عباد الله . أنا رسول الله ــ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ] .

والمعنى الثانى لقولهم نبى الملحمة أى نبى الصلاح وتأليف الناس فهو الذى يؤلف أمر الأمة ويجمع المتفرقين منها ، فيقال فى اللغة : لحم الأمر : إذا أحكمه وأصلحه ومن ذلك : لحم الشىء يلحُمه لحماً وألحمه فالتحم لأمه ، والتحم الصدعُ والتأم بمعنى واحد ، ومنه لحمة النسب : القرابة التى يلصق فيها كل واحد بالآخر ، ويتصل به ، وعلى ذلك

فالرسول ﷺ هو هادى الأمة وجامعها على الخير ، والمحبة ، والمـــودة ، وحسن الصلة ، والقرابة ، وهذا يقتضى المخالطة والمداخلة وجمع الشـمل دون التفرق ، ونزع البغضاء من القلوب ، وإصلاحها بمـــا يـــؤدى إلـــى الوفاق والحب والتآلف بين الناس . وهذا ما جـــاء بـــه ﷺ مـــن الخـــير للجميع .

# الشفيع ﷺ

إن عطاء الله تعالى لنبيه محمد ﷺ عطاء شمل حياته الدنيوية والأخروية ، فهو أشرف خلق الله ، وأكمل الناس خلقاً وأدباً ومنزلة رفيعة . ثم هو بعد مماته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى حى تعرض عليه أعمال أمته فإن رأى خيراً حمد الله ، وإن رأى شراً استغفر الله لهم ، وهو ﷺ ادّخر لأمته دعوته المستجابة فقال ﷺ : **[ لكل نبى دعوة مستجابة ، وأدخر دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ]** ،وهى تشمل من مات من أمته ﷺ لا يشرك بالله شيئاً .

وسيدنا محمد ﷺ صاحب المقام المحمود فى الآخرة وهو ما نوّه به الحق سبحانه بقوله تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ [1] .ونحن مأمورون بالدعاء له ﷺ بالمقام المحمود عقب كل أذان للصلاة ( اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد ) .

وهذه هى الشفاعة الكبرى ــ يوم القيامة ــ حين تدنو الشمس من الرؤوس ويصل العرق إلى مواضعه فى كل إنسان ، ويرجو الناس

---

(١) الإسراء : ٧٩ .

الانصراف من الموقف وإجراء الحساب ، وكما هو معلوم من حديث الشفاعة يقول كل نبى من أول آدم إلى عيسى عليهم السلام حين يرى أهوال القيامة ( نفسى نفسى ) ويأمرون الناس بالذهاب إلى الرسول الكريم محمد ﷺ فيقول : **[ أنا لها أنا لها ]** ، ويقول : **[ أمتى أمتى ]** فيشفع فى الانصراف من الموقف للناس ويشفع للمؤمنين فى دخول الجنة وفى خروج عصاتهم من النار . وفى تخفيف العذاب عمن يشاء الله تعالى .

# كان خلقه القرآن

إن الله تعالى يمكن فى الأرض الذين يتخـذون التقـوى والصـلاح والخير طريقاً للحياة وسلوكاً . لهؤلاء الذين يلتزمون بمبادئ الأخلاق التـى تقوم على مراعاة العدل والبر والخير وحسن السياسة فى الأمور كما قـال تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثـها عبـادى الصالحون** ﴾ (١) .

وكما قال سبحانه : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقـاموا الصـلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾(٢) .

وكما قال عز حكمه : ﴿ **وعـد الله الذيـن آمنـوا منكـم وعملـوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنـن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ (٣) .

أما الذين يتبعون فساد الأخلاق ويتخذون الشر طريقاً لهم فيعتريـهم الانقسام والذلة والخذلان وذلك يكون بفاسد العادات والتقاليد ، وقـد قـال ابن مسعود : ( خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قـال : [ هـذا سـبيل الله مستقيماً ] وخط عن يمينه وشماله ثم قال : [ هذه السبل ليس منـها سـبيل

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ .

(٢) الحج : ٤١ .

(٣) النور : ٥٥ .

إلا وعليه شيطان يدعو إليه ] ثم قرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ (١) .

ولذلك كان التمسك بشريعة الإسلام هو الخلق الأمثل الذى يقوم على إحسان السلوك وخير الطرق للهداية والعمل المثمر وأن يكون مرجع الأمور كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا** ﴾ (٢) .

فكل خلق قويم نافع مرجعه إلى القرآن الكريم وما كان يقوم به الرسول ﷺ من عمل وتوجيه وتنفيذ الأوامر والنواهى والأحكام التى جاء بها القرآن الكريم ، وكان النبى ﷺ يقرب المثل فى ذلك سواء كان ذلك فيما يلقيه من أقوال أو ما يقوم به من أفعال أو ما يقره من أمور ، وذلك مضمون ما يمكن تسميته بأخلاق الإسلام وهى تتمثل في القيام بتنفيذ ما أحل الله ، والبعد عما حرم الله،وأداء شعائر الدين فيما شرعه الله من العبادات ، وتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية على أسس ما جاء فى القرآن وشرحته السنة النبوية المطهرة التى تمثل خلق رسول الله ﷺ فى الالتزام والطاعة

---

(١) الأنعام : ١٥٣ .

(٢) النساء : ٥٩ .

لكل ما جاء عن الله عز وجل وشرحه وفصله القرآن أو أجْمَلَه وجاءت السنة مبينة له وشارحة له ، وهذا يشمل عمل كل ما يؤدى إلى الخير وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن يكون الإنسان مستقيماً كما أمره الله ﴿ **واستقم كما أمرت** ﴾ [1] . والقرآن الكريم إلى جانب ذلك يدعو إلى كل أنواع السلوك الحسن فى معاملات الناس من الصدق والعفو والتواضع ومعالجة الأمور بحكمة وروية .

ونهى القرآن الكريم عن كل ما يخل بالمروءة والشرف كالكذب والنفاق والغش والحسد والرياء ، والعدوان على النفس والمال وتعاطى الخبائث وحذّر من كل القبائح التى تضر بالمجتمع والناس كالخيانة والظلم والزور .

وأمر بأوامر الوفاء بالعقود والعهود وحسن استثمار المال والعلم وتقديم الخير للآخرين .

كما أمر بحفظ الأمن والنظام وطاعة أولى الأمر والتقاء الأمة حول ما يصلح كل أحوالها .

كما أمر بالاهتمام بالسلام وترك الفساد فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ **تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾[2] .

وقال ﷺ : [ **إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ**

---

(١) الشورى : ١٥ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

**حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ]** (١) .

لقد قال القرآن الكريم عن الرسول ﷺ : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾** (٢) .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾** (٣) .

قال القاضى عياض : إن فضله ﷺ أن الله أعطاه اسمين من أسمائه الحسنى فقال : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ ولم يعامل قومه فى الدعوة إلى الله معاملة جافية .

سألت السيدة عائشة النبى ﷺ قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

قال ﷺ : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة .. إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب ــ قرن المنازل الآن ــ فرفعت رأسى ، فإذا سحابة قد أظلتنى فنظرت ، فإذا جبريل ــ عليه السلام ــ فنادانى فقال : إن الله سمع قول قومك لك ، وما ردُوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت

---

(١) قال النووى : هذا حديث حسن .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) التوبة : ١٢٨ .

فيهم ، فنادانى ملك الجبال . وسلم علَّى ثم قال : يا محمد ، إن الله تعالى قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال قد بعثنى إليكَ لتأمرنى بـأمرك ، فمـا شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ــ تسمية لجبليـن فـى مكـة ــ فقال ﷺ : **[ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشـرك به شيئاً ]** (١) .

وعن أنس قال : كان النبى ﷺ أحسن النـاس ، وأجـود النـاس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فـانطلق النـاس قِبَـلَ الصوت ، فاستقبلهم النبى ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : [ لن تُراعوا لن تُراعوا ] ، وهو على فرس لأبى طلحـة ( زيـد بـن سـهل الأنصارى زوج أم أنس ) عُرْى ما عليه سرْجٌ ، فى عنقه سيف ، فقـال : لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر ( أى واسع الجرى مثل البحر ) .

وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبى ﷺ لأخيه : اركب إلى هذا الـوادى فاسمع من قوله ، فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق .

وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ كان النبى ﷺ أجود النـاس وأجود ما يكون فى رمضان .

وعن عبد الله بن عمرو قال : لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ، وإنه كان يقول : [ إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً ] .

---

(١) رواه الشيخان .

وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى : أفٍّ ، ولا لِمَ صنعتَ ؟ ولا ألا صنعت ؟ ( بمعنى هَلا صنعت ) .

وفى رواية : ما قال لشيءٍ صنعته هذا كذا ؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه : لِمَ لم تصنع هذا كذا ؟

وعن الأسود بن يزيد قال : : سألت عائشة : ما كان النبى يصنع فى أهله ؟ قالت : كان فى مهنة أهله ــ بكسر الميم وفتحها ــ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ أن هذه الآية التى فى القرآن : ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ [1] ، قال : فى التوراة ( يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ) حرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صُمًا ، وقلوباً غلُفا " .

وكل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهو السنة.

وكل ما كان منها مقصوداً به التشريع والاقتداء به ﷺ مما ثبتت صحته هو مصدر للتشريع فكل شيءٍ يحتاج إليه المسلمون فى أمر دينهم ودنياهم مما يصلح حياتهم شرع لهم .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ .

وطاعة الرسول من طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ [1] . ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ [2] . ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [3] .

وسنته ﷺ بيان للقرآن : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم** ﴾ [4] .

ولما بعث النبى ﷺ معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ إلى اليمن قال له : [ بم تقضى إذا عرض لك قضاء ] ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : [ فإن لم تجد ] ؟ قال : بسنة رسول رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلوا ، فقال ﷺ : [ **الحمد لله الذى وفق رسولَ الله إلى ما يرضى الله ورسوله** ] .

والسنة تأتى مقررة ومؤكدة لما جاء فى القرآن الكريم كالأمر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات .

والسنة تأتى مفسرة ومفصلة لما أتى مجملاً فى القرآن أو واضعة بعض القيود والشروط كما جاءت السنة مبينة لأوقات الصلاة وكيفيتها وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها إلخ .

---

(١) آل عمران : ٣٢ .

(٢) النساء : ٨٠ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) النحل : ٤٤ .

والسنة تأتى بأحكام جديدة فيما لم يذكره القرآن مثل التحريم من الرضاع ( يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ) وكذلك حديث الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة إلخ .. وهذا ما أشار إليه الإمام الشافعى فى رسالته ــ فى الأصول ــ ونذكره تفصيلاً فيما بعد .

# الرحمة المهداة

حكى رسول الله ﷺ رحمته بأمته فبين أن الله تعالى يرحم بعض الأمم برسلها فى حياة الرسل وبعد مماتهم كما أن الله تعالى يعذب بعض الأمم فيهلكها ونبيها حى يرى ما ينزل بهم من الهلاك والدمار لأنهم كذبوا رسولهم .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : **[ إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حىٌ فأهلكها وهو ينظر فأقرَّ عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره ]** .

والأمة التى يرحمها الله تعالى يعيش معها نبيها مدة من الزمن ثم ينتقل إلى رحاب ربه ، والرسول فى حال الحياة وبعد مماته مصدر نفع لأمته فالأمة الإسلامية مرحومة برسول الله ﷺ فى حياته وبعد مماته ولذلك يقول ﷺ : **[ حياتى خير لكم ومماتى خير لكم ، حياتى خير لكم تحدثون وأحدث لكم ، ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم ]** . فهو فى مصلحة الأمة يرعاها ويحافظ عليها فى مسيرة حياتها أما الأمم التى كذبت رسلها فإن الله تعالى عذبها وأهلكها لتكذيبها رسلها كقوم نوح الذين دعا عليهم:

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾[1] . فأغرقهم الله تعالى تحت سمع وبصر نبيهم نوح ــ عليه السلام ــ ، وقوم عاد أهلكوا ــ لتكذيبهم نبيهم ــ بريح صرصر عاتية ، وقوم ثمود أهلكوا بالصيحة لتكذيبهم نبيهم صالحاً ، وقوم لوط قلب الله تعالى بهم مدنهم وأمطرهم بحجارة من سجيل لتكذيبهم نبيهم لوطاً عليه السلام ، وكل هذا وأنبياؤهم يرون العذاب الذى حل بهم نتيجة عصيانهم .

أما رسول الله ﷺ فهو رحمة كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [2] وحين جاءه ملك الجبال ــ وهو فى الطائف ــ وقال له : إن شئت يا محمد أطبق عليهم الأخشبين ــ وهما جبلان فى مكة ــ ليهلك أهل مكة الظالمين ــ قال له النبى ﷺ : [ **لا . وقال : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، لكل نبى دعوة مستجابة وأدخر دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة** ] .

---

(١) نوح : ٢٦ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

# آدابه وسلوكه مع الناس ﷺ

عن أنس قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتقه قد أثرت بها حاشية البرد ، ثم قال : يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه النبى ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء متفق عليه .

وكان رسول الله ﷺ إذا صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ولم يُرَ مقدماً ركبته بين يدى جليس له .

وعن ثابت بن أنس : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبى ﷺ ( أى : جعل فمه يحاذى أذنه ﷺ للإفضاء بالسر فينحىَّ رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما رأيت رسول الله أخذ بيد رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده [1] .

وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم ، متفق عليه وسُئل جابر بن سمرة : أكنت تجالس النبى ﷺ ؟ قال : نعم كثيراً كان لا يقوم من

---

(١) رواه أبو داود .

صلاته حتى تطلع الشمس وكانوا يتحدثون فيأخذون فـــى أمـــر الجاهليـــة فيضحكون ويبتسم [1] .

وقال زيد بن ثابت : كنت جار النبى ﷺ فكان إذا نزل الوحى بعـــث إلىَّ فآتيه فأكتب الوحى ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرهـــا معنـــا وإذا ذكرنـــا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .

وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : كـــان رســـول الله ﷺ إذا كان فى بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ويحلب شاته ويخدم نفسه .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع الطفل .

---

(١) رواه مسلم .

# زهده ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى** ﴾ (١) .

دخل عمر ــ رضى الله عنه ــ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على حصير فأدنى عليه إزاره وإذا الحصير قد أثر فى جنبه ، ورأى قليلاً من شعر وبعض الجلود فابتدرت عيناه فقال رسول الله ﷺ : [ ما يبكيك يا ابن الخطاب ] ؟ فقال عمر : يا رسول الله وما لى لا أبكى وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته وهذه خزائنك وكسرى وقيصر فى الثمار والأنهار ، وأنت هكذا ، فقال ﷺ : [ **يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا** ] ؟ قلت:بلى يا رسول الله،قال:[ **فاحمد الله تعالى** ]رواه مسلم .

وفى رواية أخرى قال : [ **ما لى وللدنيا ، إنما إنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** ].

وكان ﷺ لا يحتفظ بشىءٍ من المال وإنما ينفق كل ما يأتيه على رعيته فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : [ لو أن لى مثل أحد ذهباً ما يسرنى أن تأتى على ثلاث ليال وعندى منه شىءٍ إلا شىءٍ أرصده لدين ] (٢) .

---

(١) طه : ١٣١ .

(٢) أخرجه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ــ أيضاً ــ قال رسول الله ﷺ : **[ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ]** (١) .

وكانت عائشة ــ رضى الله عنها ــ تقول : " ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز برٍّ حتى توفى " (٢) .

وعنها ــ أيضاً ــ قالت : " **كنا يمر بنا الهلال والهلال ما نوقد بنارٍ لطعام إلا التمر والماء** " (٣) .

وعنها ــ أيضاً قالت : " دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثفية فانطلقت فبعثت إلىَّ بفراش حشوه الصوف فدخل علىَّ رسول الله ﷺ فقال : [ ما هذا يا عائشة ] ؟ قلت : فلانة رأت فراشك فبعثت إلىّ بهذا ، فقال : [ رُدِّيه يا عائشة ] قالت : فلم أرده وأعجبنى أن يكون فى بيتى حتى قال ذلك ثلاث مرات قالت : فقال : [ رديه فو الله لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة " (٤) .

وكان المال الذى يأتيه يشبع الجائع ويكسو العادى ويُسكن من لا بيت له . وكان ﷺ يواصل فى صومه ، ويبقى أيامًا لا يأكل ، وينهى عن الوصال . ويقول : [ إنى لست مثلكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ] .

---

(١) أخرجه مسلم والبخارى .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى الزهد .

# الباب الثانى

## منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله

# البعثة المحمدية
## الدعوة السرية للرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ حكيماً فى نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الناس ، فقد أخذ ـ أولاً ـ جانب النشر السرى لدى أهله ، وأصدقائه ، وعشيرته الأقربين ، فلما أتاه جبريل فى غار حراء قائلاً : اقرأ ، فقال له : ما أنا بقارئ وما زال به حتى قال الرسول ﷺ لجبريل : ماذا أقرأ ؟ فقال له جبريل : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (١) .

ثم علم أن الذى أتاه هو جبريل .

وذهب ـ بعد ذلك ـ يقص أمره على زوجه السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ فقالت له : أبشر ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، وذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه ما حدث ، فأخبرها أن هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى ـ عليه السلام ـ وإنه لنبى هذه الأمة .

---

(١) العلق : ١ـ٥ .

فمضى رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام ، فدعا أولاً ــ كما ذكرنا من قبل ــ أهله ، فآمنت به السيدة خديجة ، وآمن به على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ وكان يصلى مع النبى ﷺ خفية عن أعين الناس .

وكان ﷺ يكلف بعض من يثق فيهم ممن أسلم وآمن به ﷺ أن يبلغ بعض من له بهم صلة فكلف أبا بكر الصديق هذا الصحابى الجليل الذى لم يتردد لحظة واحدة بمجرد سماعه دعوته ﷺ . وقد قال فيه عليه الصلاة والسلام : **[ ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ( أى تأخر وعدم إجابة ) ونظر وتردد إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ما تلبث حين ذكرته له ، وما تردد فيه ، فنشر الدعوة بين أصفيائه . وخلصائه الذين يستطيع التأثير فيهم ]** ، وكان هذا نشراً سرياً للدعوة التى ما زالت فى مهدها تحتاج إلى تقوية ، ومؤازرة لينضم إليها بعض مَنْ يطلعون عليها من ذوى النفوس الصافية حتى يكونوا أداة للدعوة ودرعاً لها يحمونها من الانطفاء والوأد فى المهد .

وهذا تصرف حكيم ، ومنهج رائد ، فالدعوة الناشئة تحتاج إلى حماية ودعم ، ولا سيما أن الكفر منتشر حولها ، وعبادة الأصنام وغيرها أمر سائد فى المجتمع الجاهلى ، فكيف يعلن محمد ﷺ الدعوة جهراً وسط هذا الركام من الجهالة والعناد والجمود والصلف ، فلابد أن يسلك الطريق السرى .

وقد نجح أبو بكر الصديق فى التأثير على صفوة من الأعلام الذين كان لهم السبق إلى الإسلام مثل عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ،

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبى عبيدة عامر بن الجراح ، وغيرهم من الصفوة التى ساندت الدعوة الإسلامية فى مهدها ، وجعلتها تقوى ، ويشتد عودها .

وقد كان هؤلاء الأعلام مقبلين على الإسلام ودعوته إقبالاً كبيراً ، واتجهوا إلى الإسلام ، والتقوا برسول الله ﷺ ليؤكدوا له أنسهم فى تيار الدعوة ومسارها ، وقد شرح الرسول الكريم لهم ولغيرهم أهداف هذه الدعوة التى يدعو إليها وهى إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور معرفة الله وتوحيده .

هذه الدعوة الصحيحة تخرجهم من جاهليتهم وما كانوا فيه من عبادة الأصنام ، وأكل الميتة ، وإتيان الفواحش ، وقطع الأرحام ، وإساءة الجوار ، واعتداء القوى على الضعيف ، وتوجيههم إلى توحيد الله وعبادته وخلع ما كانوا عليه هم وآباؤهم من عبادة الحجارة والأوثان وأمرهم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم وسفك الدماء ، والانتهاء عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، والأمر بالصلاة والزكاة والصيام .. إلخ .

وقد أخذت الدعوة هذا الأسلوب السرى مدة من الزمن استطاعت فيه أن تحظى بتأييد أصحاب العقول الراجحة من الرجال والنساء . واستمرت الدعوة على هذا ثلاث سنين .

وما كان من الممكن أن تأخذ الدعوة صورة العلن وإلا قوبلت بالإنكار والتهديد .

# الدعوة العلنية

كان لابد للدعوة بعد أن حظيت بالتأييد المتنامى ، وبعد أن دخل فى دين الله أفواج من الناس أن تأخذ طريقها المرسوم بالطريق العلنى حتى يتحقق لها الانتشار والذيوع .

ولا ريب أن الرسول ﷺ فى إعلان الدعوة كان مستجيباً لأمر ربه فى نقلها من السرية إلى العلنية قال تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ (١) .

أمر ﷺ أن يفرق بين الحق والباطل ، فيشرح للناس دعوته ، وأسسها التى جاءت وقامت عليها ؛ من عبادة الله الواحد ، ونبذ عبادة غير الله ، ولم يتخذ النبى ﷺ منهج القوة فى فرض العقيدة على الناس ، بل كُلف بأن يشرح لهم أصول دعوته ، ويقيم الأدلة على صدق الدعوة ليبين الحق من الباطل فى أسلوب مهذب ، وخلق حميد ، ونفس هادئة هادفة فلا يحاول فرض الأمر بالكبرياء ، أو الغطرسة ، فالناس عادة ينفرون من الداعية إذا كان مندفعاً إلى دعوته بالقوة . أو الجبروت أو السلطان .

فلابد من الحسنى فى القول والعمل ، ولابد من حسن التوجيه ، والنصح لتنجح الدعوة ، فهذا محمد ﷺ يدعو عمه إلى الإسلام فيقول له : [ أنت يا عَمِّ أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من

---

(١) الحجر : ٩٤ .

أجابنى إليه ، وأعاننى عليه ] فهو ﷺ يستخدم أسلوب الليـــن ، ويســتعمل طرق الترغيب مستحثاً فيه همته ، وصلة قرابته ، وأن من الواجب عليـــه لعمه أن يوضح له طريق الهداية أكثر من غيره من الناس ، إذ أحقُّ الناس بالنصح هم أهل الإنسان قبل غيرهم من بنى البشر فيستلين من صلابتـــه ، ويأخذ من تفكيره ما يدعوه إلى الإجابة .

ومن لم يستجب للإرشاد والنصح فالأمر بالحسنى هو السبيل إليـــه ، لا بطش ولا جبروت ، ولا استعمال للقوة ، ولا تهديد ، كل إنسان حرّ فيما يختار من عقيدة فى حدود ما لا يضر بالآخرين ، وكل إنسان حـــرّ فـــى اعتقاده لا يكره على الدين قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقـــى لا انفصام لها** ﴾ (١) .

وهناك كانت الدعوة لجميع الناس بالحسنى :﴿ **ادع إلى سبيل ربـــك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ (٢) .

والحوار والنقاش فى الإسلام له آدابه وله أهدافه ولا بأس أن يستفسر الإنسان عن شىء إذا كان يقصد إلى معرفته والاهتداء إلى الصحيح منه إذا وضحت الأدلة وصحت ويكون ذلك بالاستفهام وتلقى الإجابة والإنصـــات إلى من ينصح ويوجه ويشرح ويوضح .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

وقد أمر الرسول ﷺ بأن يكون جداله مع أهل الكتاب بالحسنى ، وأن يغلق باب النزاع فى الرأى فقال تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾ (١) .

وكان الرسول ﷺ يشرح لأهل الكتاب أدب الحوار ويبين لهم أن لكل من الفريقين عمله الخاص الذى سيجازى عليه فى إطار العقيدة الصحيحة قال سبحانه موجهًا هذه التعاليم إلى الرسول ﷺ وإلى الأمة الإسلامية ليمسكوا عن الجدل ويمنعوا منه أهل الكتاب : ﴿ **قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون** ﴾ (٢) .

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٢) البقرة : ١٣٩ .

# الدعوة شرح وتفصيل وبيان

كان ﷺ ــ فى سبيل نشر الدعوة ــ يوضح أصل العقيدة ، وهى عبادة الله تعالى ، والإعراض عن عبادة غيره ، لأن المعبود بحق هو الخالق الذى و أوجد الناس من العدم ، وهو الرازق الذى تكفل بأرزاق عباده : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » [1] .

وهنا لابد من مخاطبة العقول التى تعى ، وتقدر ، فالعقل يحظى فى دعوة الرسول ﷺ بالعناية والتقدير ، كيف يعبد الإنسان حجرا أو شجرًا أو ماءً أو حيوانًا أو نارًا أو غير ذلك مما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، فضلا عن أن يملك لغيره ؟ .

وقد انحرفت العقيدة بالناس فى فترة من الزمن طال فيها العهد بالرسالات ، فلما جاء محمد ﷺ كان مكلفًا بردهم إلى الصواب ، وإلى الجادة ، وإن اقتضى ذلك منه أن يغير فكرة وراثة العقيدة ، فالعقيدة لا تورث ، وإنما تناقش بالحجة والبرهان ، فإذا ثبت أن السابقين كانوا على حق اتبعناهم ، وإذا تبيَّن ضلالهم أعرض الأبناء عن عقيدة الآباء الفاسدة الباطلة .

---

(١) الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨ .

وراح الرسول ﷺ يوضح ما كان عليه الناس من ضلال ويأمرهم بالبعد عن عبادة الأصنام وغيرها حتى يثوبوا إلى رشدهم بعبادة الله وحده ، ولاقى فى ذلك أذى كثيرًا من بعض الكفار الذين لم يتركوا لعقلهم أن يفكر ويتدبر ، ويعرف الصواب من الخطأ ، وهذا أدى بالكفار إلى ثورة على الدعوة بغضبهم وانفعالهم ، فاتجهت نيتهم إلى إيذاء الرسول ﷺ والوقوف فى سبيل دعوته بشتى الطرق ، و وسائل ، وحاولوا جاهدين إبعاد عمه أبى طالب وذوى قرباه عن مناصرته .

شرح الرسول ﷺ للناس بطلان عبادة غير الله من تلك الأوثان والأصنام التى أشركوها مع الله وكانت متوارثة لديهم وبين لهم بالقرآن الكريم أنها ضلال وغىٌ منذ عهد النبيين السابقين وأن عبادتها إثم كبير فقد حل العقاب بقوم نوح لما انصرفوا عن عبادة الله إليها : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا * وقد أضلوا كثيرًا** ﴾ (١) .

وذكر البخارى عن ابن عباس قال : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب وسموها بأسمائها ثم عبدوها بعد جهلهم بالديانات الإلهية التى كانت قد بقيت منها بقايا من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة .

---

(١) نوح : ٢٣ ـ ٢٤ .

وقد أوضح لهم الرسول ﷺ أن الذى يعبد بحق هو الله تعالى الـــذى كانوا يعترفون بوجوده ويهلون له بالحج كما قال تعالى : ﴿ **ومـــا يؤمـــن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ [1] .

وقد بين الرسول ﷺ لهم أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر ومـــن يحكم عقله وتفكيره يدرك ذلك ، وأبطل الرسول لهم ما كانوا يجعلونه مـــن مخصصات هذه المعبودات فى أموالـــهم . قـــال تعـــالى : ﴿ **وجعلـــوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشـــركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شـــركائهم ساء ما يحكمون** ﴾ [2] .

وبين خطل القول بتعدد الآلهة الذى كان المشركون يعتقدون وكـــانوا يعيبون أن يكون إلاله واحدًا فيما جاء على لسانه ﷺ قـــائلين : ﴿ **أجعـــل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشىء عجاب** ﴾ [3] .

فبين لهم بالحجج والبراهين القاطعة أن الإله واحد لا متعدد وأن نظام هذا الكون البديع يقتضى كون الإله واحدًا : ﴿ **لو كان فيهما آلهـــة إلا الله لفسدتا** ﴾ [4] .

---

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) الأنعام : ١٣٦.

(٣) ص : ٥ .

(٤) الأنبياء : ٢٢ .

وقال سبحانه : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلمًا لرجل هل يستويان مثلا** ﴾ [1] . إن ذلك كان طريق البيان الذى أعاد العقول السليمة إلى صوابها .

---

(١) الزمر : ٢٩ .

# الصبر على الإيذاء ومقابلته بالهدوء والسكينة

إن صاحب الدعوة يجب أن يكون صبوراً جلداً ذا عزيمة قوية ، ونفس مطمئنة ، وملاطفة ، وحسن توجيه ، فكفار مكة قد آذوا النبي ﷺ أشد الإيذاء ، وطالما كادوا له ، وقالوا في شأن دعوته ما لا يتحمله أي داعية ، ولا يمكن أن يقبله ، فالوليد بن المغيرة اجتمع مع نفر من قريش ، وحاولوا النكاية به ﷺ بوصف دعوته بأوصاف تصرف العرب عنها ولا سيما من كانوا يقدمون في مواسم العرب ، فوصفوا الرسول الكريم بالكهانة ، والجنون ، والشعر ، والسحر ، واستقر رأيهم على أنه ساحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته .

وأخذوا يجلسون بسبيل الناس حين يقدمون الموسم ، ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره .

ونزل في شأن الوليد قوله تعالى : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ***

**سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر ﴾** [1] .

وكانوا يريدون بذلك تشويه الدعوة الإسلامية لكن نبينا الصامد القوى الإرادة قلب هذه الأوصاف إلى أوصاف حسنة بحسن تصرفه ، وعقله الراجح وصبره الجميل .

وقد اجتمع فريق من قريش عند الكعبة ، وذكروا رسول الله ﷺ فقالوا " ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وبينما هم فى ذلك الكلام إذ طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ــ فى الكعبة ــ ثم مر بهم طائفًا بالبيت الحرام ، ولكن القوم لم يكفوا عما هم فيه من نيل منه بل غمزوه ببعض القول كلما مر بهم ، ولكنه وقف منبِّها لهم على خطئهم ، ومبينًا أن طريق النجاة إنما هو فى اتباعهم له .

وذات مرة اجتمعوا حوله وقالوا له : " **أنت الذى تقول كذا وكذا** " عن عيب آلهتهم ، ودينهم ، فيقول الرسول ﷺ : [ نعم أنا الذى قال ذلك] ، فأمسك رجل بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ، ويقول : ﴿ **أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ﴾** [2] .

ثم إنه ﷺ كان هادئ النفس ، لا يثور ، ولا يخور ، ولا يطبع نفسه على طباعهم حتى استقام له أمر الدعوة ، وصلاحها .

---

(١) المدثر : ١١ ــ ٣٠ .

(٢) غافر : ٢٨ .

# النقاش والمفاوضة
# بما يؤكد صدق دعوته ﷺ

كم جرى من النقاش ، والمفاوضة بينه ﷺ ، وبين زعماء قريش ، وكان منهجه حكيمًا فى أن ينصت لكلام الخصم ، ويسمع وجهة نظره ولو كانت خطأ ، ثم يعقب على الحوار بما يوضح صدق دعوته ، ونبوته .

حاول زعماء قريش أن يصرفوه ﷺ عن دعوته بكل الوسائل ، بالإغراء الواسع فى أمور الدنيا بترغيبه فى جمع المال له ، أو تنصيبه ملكًا ، أو دوائه إن كان به داء حتى يستطيعوا أن يجذبوه إلى ساحة الكفر ، ويبعدوه عن أداء رسالته ، فما استطاعوا .

جاء إليه ﷺ عتبة بن ربيعة موفدًا من قبل زعماء قريش ، فقال له : يا ابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من الشرف فى العشيرة ، والمكان فى النسب ثم قال للرسول ﷺ : اسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها ، فقال رسول الله ﷺ : **[ قل يا أبا الوليد أسمع ]** قال : يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفًا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد ملكناك علينا ، وإن كان هذا

الذى يأتيك رئيًا ( يعنى من الجن ) لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه " .

فلما فرغ عتبة من كلامه قال له الرسول ﷺ : [ **أقد فرغت يا أبا الوليد ؟** ] قال : نعم . قال : [ **فاسمع منى** ]، قال : افعل ، فقال ﷺ : **ما بى شىء مما تقولون ، ما جئت أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابًا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم**،ثم تلا قوله تعالى فى أول سورة ( فصلت ) : ﴿ **حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون**﴾ (١).

ومضى فى السورة يقرؤها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها يسمع .

ثم قال له النبى ﷺ : [ **يا أبا الوليد قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك** ].

هذا هو الحوار الهادف الذى أوضح أن دعوته ﷺ من عند الله ، وأن القرآن كلام الله ، وأنه دعوة الحق إلى الناس ، وعلى ذوى العقول الراجحة التفكير فيه دون إكراه أو إجبار .

---

(١) فصلت : ١ــ ٤ .

## منهج للدعوة يوضح كيف يدار الحوار والمفاوضة فيها :

والداعية الحقيقى يجب عليه ألا يقطع على الناس كل طريق للسؤال ، بل يتركهم يسألون ، ثم يوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم حتى إذا كانت الأسئلة خطأ كتلك الأسئلة التعسفية التى حكى بعضها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولا** ﴾[1].

وقد جلس الرسول ﷺ يومًا فى المسجد فجاء النضر بن الحارث ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون** ﴾ [2] .

---

(١) الإسراء : ٩٠ ــ ٩٤ .

(٢) الأنبياء : ٩٨ ــ ١٠٠ .

# الثبات على المبدأ

إن الداعية إلى الله لابد أن يكون مؤمنا بما يدعو إليه عارفاً أنه الحقُّ مستعداً أن يبذل فى سبيله كل غال ونفيس ، فإذا كان هكذا كتب لدعوته النجاح ، أما إذا كانت دعوته لحاجة شخصية يبغيها من ورائها من منصب أو جاه أو سلطان ، أو منزلة ، ولم تكن دعوته مبنية على أساس من الصدق مع النفس ، والإيمان بها لذاتها فهى ــ لابد ــ ضائعة ومتهاوية .

وكان ﷺ من النوع الذى آمن بدعوته ، وعرف حقها عليه ، فراح يبذل كل ما فى وسعه لإنقاذها حتى يظهر أمر الله ، وتتحقق المصالح الشرعية التى جاء من أجلها .

فنحن نعرف أن قومه ــ لما وجدوا فيه إصراراً على دعوة الناس إلى الله الواحد ، والانصراف عن الشرك والضلال ــ حاولوا صرفه عن دعوته ، وبذلوا فى ذلك طرقاً من الترغيب تارة ، والترهيب تارة أخرى .

لقد قالوا لعمّه أبى طالب : " إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله حتى يهلك أحد الفريقين " .

ولما سمع أبو طالب مقالتهم هذه بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فابق علىّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق " فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا

لعمّه فيه بداء ، وأنه خاذله ، ومسلّمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " .

ولما وجد أبو طالب من الرسول الكريم إصراراً على دعوته ، والتمسك بها قال له : اذهب ــ يا ابن أخي ــ فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لأحد أبداً .

فكان الكفار ــ مع ذلك ــ يعذبون المسلمين ، ويحاولون منعهم عن دينهم ، لكن الله تعالى منع رسوله منهم بعمه أبي طالب ، وثباته على مبدئه .

كان ما كان مما لقيه المسلمون من التعذيب والأذى في سبيل إسلامهم كبلال وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت ، وغيرهم حتى اضطروا إلى الهجرة أولاً إلى الحبشة ، وثانياً إلى المدينة .

وكان المشركون يتتبعون آثارهم حتى في دار هجرتهم فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً قرروا أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشي لكي يرد المهاجرين إلى أهل مكة فيفتنوهم عن دينهم وكان أن بعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ــ قبل إسلامه ــ ومعهما هدايا إلى النجاشي ولكنه لم يقبل عروضهم برد المسلمين معهما وردهما خائبين بعد أن تبين

له من كلام المسلمين أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق المبين ورد عليهم هداياهم وقال : لا حاجة لى بها .

إن الله تعالى قد أكرم نبيه والمؤمنين معه ، لأنه ﷺ بقى على مبدئه الذى أرسله الله تعالى به ، وثبت المؤمنون على عقيدتهم فلم يفرطوا فيها ولم يرهبهم عنت المشركين ولا عدوانهم ولا استيلاؤهم على ديارهم وأموالهم ، وأحاط الله تعالى رسوله بنصرة الناصرين من عمه وغيره .

# استعمال النصح المقرون بالتصميم والإرادة حين يتطلب الأمر ذلك

لم يكن الرسول ﷺ خواراً ، ولا جباناً ضعيفاً ، بل كان قوى الإرادة ، والعزيمة ، شجاعًا فى نصرة الحق الذى جاء به .

ولم يكن يضع نفسه فى إطار الدعوة موضع الذى ينتظر العون من غيره ، والدفاع عنه إذا تعرض للإيذاء .

فإبان نشأة الدعوة ، وهى تحتاج إلى شد الأزر ، والمعونة ، كان المصطفى ﷺ يفكر فى طرق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش الذين يمكن أن تفيد الدعوة من حمايتهم لها ، فالحق لا بد له من قوة تحميه ، وتدافع عنه .

**لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ما قام الرسول بقائل**
**ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه من الناس ما لم يلق أحمق جاهل**
**أقمه وأسنده ودعم بناءه وذد عنه ذود الليث والليث صائل**

وفى الوقت الذى أوذى فيه المسلمون إيذاء شديدًا وجه الرسول الكريم من يناله الأذى من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة .

وكان الرسول ﷺ يدعو : **( اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب )** .

وفى قصة إسلام عمر ــ كما نعلم ــ كانت فاطمة بنت الخطاب ــ أخت عمر رضى الله عنه ــ قد أسلمت هى وزوجها سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل سرا ، وكان خباب بن الأرت يأتيهما ليقرئهما القرآن بين الحين والآخر .

وذات يوم خرج عمر بن الخطاب يريد الاعتداء على الرسول ﷺ حين علم باجتماعه مع بعض المسلمين فى بيت عند الصفا ، وفيهم حمزة عمه ، وأبو بكر ، وعلى بن أبى طالب ، لكن نعيم بن عبد الله حينما وجد عمر متوحشا سيفه سأله عن قصده فقال : هو قتل الرسول ، فقال له نعيم : عليك بأهلك أولا ، فأختك وزوجها قد أسلما ، فانطلق عمر إليهما ، وطرق الباب ، وكان عندهما خباب ، فاختبأ فى مخدع لهم ، ثم دخل عمر وبطش بأخته وزوجها ، ثم حاول أخذ الصحيفة التى كان يقرئها لهما خباب فلم تعطها له أخته حتى أعطى عهدا بقراءتها ــ بعد أن يغتسل ــ فاغتسل وقرأ الصحيفة فإذا بها : ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ [1]. إلخ فلما قرأ صدرا منها قال : ما أحسن هذا الكلام ، وأكرمه ، فخرج خباب ، وقال له : يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ( اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين ) ، فالله الله يا عمر ، ثم ذهب عمر إلى مكان الرسول ﷺ فى البيت الذى عند الصفا ، فضرب الباب ، فلما سمع المجتمعون صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فنظر من خلل الباب ، فرأه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ــ وهو فزع ــ

---

(١) طه : ١ــ ٢ .

فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلنا له ، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه فقال رسول الله ﷺ : أئذن له ، فأذن له الرجل فنهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه ، فأخذ حجزته أو بجمع ردائه ، ثم جذبه به جذبة شديدة وقال له :

ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة وكبر أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ .

# الرياضة منهج من مناهج الدعوة

لقد كان ﷺ يعامل الناس بتربوية عالية ، وبحسب ما ينفعهم فيما يقصدون ، وما يتجهون ، ويخاطب كلاً بطريقة تلائمه ، فمن يجادل جادله بالحسنى ، ومن يجهل رده عن جهله بما يناسبه .

وقد يدهش بعضنا إذا علم أن الرسول الهادى للناس يستعمل الرياضة ، والمصارعة الجسمية طريقاً من طرق الدعوة ، وأى خطيب قد يسلك هذا المسلك ؟

إن الداعية إلى الله قد يظن نفسه مقصوراً على الحديث عن مبدئه الذى يدعو الناس إليه ، وأنّ عليه أن يأخذ سمتاً معيناً يبتعد به عن كل الأعمال الأخرى غير الدعوة والقيام بأعمالها المعروفة ، لكنه لو اقتدى بالرسول الكريم عرف أنه لم يترك سبيلاً من سبل الإقناع إلا سلكه ، وقد يعرف أن سبيل إقناع شخص ما يقوم على توجه معيّن ، فيسلك هذا الطريق ليصل إليه .

وقد يعرف أن فلاناً ينفع معه ــ فى جذبه إلى الدعوة ــ أن يلعب معه لعبة رياضية فلا يتأخر عنها .

هذا ركانة بن عبد يزيد بن هاشم المطلبى من أشداء قريش ، خلا يوماً برسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ﷺ : **يا ركانة ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟**

**فقال ركانة : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك .**

فقال له رسول الله ﷺ : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟

قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال ركانة : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه فقال ركانة : يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعنى ؟

فقال رسول الله ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى .

وقد أراه النبى ﷺ بعض المعجزات فلما ذهب ركانة إلى قومه بنى عبد مناف أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

فالدعوة لا تكون بالكلام فحسب ، ولكن بالسلوك أيضاً وتنوعها بتنوع الناس وطبقاتهم وبيئاتهم يجعلها تصل إلى القلوب ، فما يمكن أن يصلح فى بيئة قد لا يصلح فى أخرى وما يخاطب به شخص قد لا يصلح فى خطاب شخص آخر . وما يعامل به إنسان قد لا يحسن مع غيره ، ولذلك فإن ملاحظة الأحوال مطلوبة ، وكان الرسول ﷺ ينزل إلى كل المستويات ويخالطها ويجعل نفسه واحداً منها حتى يكون مألوفاً لهم فيستجيبون له بالمخالطة وحسن المعاشرة .

وما كان من هذا النموذج فى الدعوة يفتح المجال أمام الداعية ألا يقتصر على وجوده فى مكان معين كالمسجد فحسب ، وألا يخشى من غشيان المجالس المتعددة واللقاءات التى تفتح له معرفة الناس بما يرشدهم إليه فى مختلف أعمالهم وحرفهم وأماكن وجودهم وما يأمرهم به دينهم من إتقان العمل وإجادته والحرص على نفعه لهم وللناس .

# عقد الندوات بطلب الخصوم والحصافة النبوية

طالما طلب إليه ﷺ زعماء قريش أن يحضر إليهم للنقاش ، والجدل ، والحوار علنا فى اجتماعاتهم ، فكان ﷺ يحضر إليهم ، ويستجيب لطلبهم مناقشته فى أمر دعوته ، ولم يكن ﷺ قد وضع حجابا على نفسه ، وأموره ، وإنما كان يؤمن باللقاء مع الناس يوضح لهم جوانب دعوته فى المؤتمرات والندوات العامة .

وكان يسمع الاعتراضات ، ويجيب عليها ، ثم يطرح مسائل الدعوة ، وخصائصها لتناقشها العقول الجاحد منها ، والمستعد للاهتداء ، حتى تنتشر ، وتنمو ، وتتسع لها الصدور ، والبقاع .

فهو ﷺ قد طرح أمر الدعوة ــ منذ إلقائها إليه ــ على أهله ، وعشيرته ، ومن تصل إليه تباعا ، وترك لهم الحرية للنظر والرأى ، ثم التقرير المصيرى لهم فى عبادة الله ، وترك عبادة الأوثان التى جاءوا إليها وراثة عمن ضل من آبائهم .

ذات يوم طلبوه ﷺ عند ظهر الكعبة ،فجاء مسرعا إليهم ليرى ماذا بدا لهم مما عرضه عليهم من أمر دعوته لحصافته العقلية ، وإيمانه بأن الدعوة لابد من التمهيد لها ، وعرضها عرضا حسنا جيدا دون إخفاء

لجوانبها ، أو كبت لبعض الملحوظات التى قد تبدو على ألسنة بعض الغافلين ، أو الحاقدين على السواء ، ولو كانت هذه الملحوظات والمناقشات عبثاً ، أو لغواً من القول .

لقد باغته قومه فى هذا الاجتماع بمطالب لا تصدر إلا عن قوم معاندين مكابرين ، قال بعضهم له : سيّر لنا الجبال ، وابسط لنا البلاد ، وفجّر لنا الأنهار .

وقال بعضهم ــ كذلك ــ اجعل لك جناناً ، وقصوراً وكنوزاً من ذهب ، وفضة ، حتى تستغنى بها عن المشى فى الأسواق ، والتماس كسب المعاش .

وبعضهم طلب الصعود فى السماء ، وبعضهم طلب إنزال الملائكة لتشهد بنبوته ﷺ .

وكلها أسئلة عنت ، وتهكم ، وتجبُّر .

ولكن الرسول الكريم كان يأخذهم بالرفق فى الحوار ، وإن كان حوارهم بعيداً عن الهدف المطلوب ، فقال لهم ﷺ ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربّه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ،وجاء ذلك كله واضحاً فى قول الحق تبارك وتعالى :﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان**

**ربى هل كنت إلا بشرا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنـــوا إذ جـــاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا ﴾** [1] .

وهذا المشهد الحوارى يوضح أن الرسول ﷺ كان يحصن دعوتـــه بالحوار ، وفتح الجدل ، ويترك لمن يشاء أن يتكلم ، ثم لا يقطـــع عليـه كلامه ، ويوضح هدف دعوته ، وما جاء من أجله .

---

(١) الإسراء : ٩٠ ــ ٩٤ .

# حدبه ﷺ
# على المدعوين ورعايته لهم

على الداعية أن يكون حريصاً على هداية الناس آتياً لهم بكل الوسائل التى تجذبهم إليه ، وأن يسدى إليهم التوجيه والنصح ، ويبذل لهم طاقته ، ويحاول جذب من شرد منهم إليه ، ويحنو عليه ويبصره بما ينفعه ، ويبعده عما يضره كما قال الرسول ﷺ : **[ أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها ]** .

فالرسول ﷺ كان يبصِّر الناس بأمور دينهم ، ويوضح لهم أنه حريص على مصالحهم ، وأن إنقاذهم من المهالك إنما هو باتجاههم إليه وانضمامهم إلى دعوته ، وأخذهم بما يرشدهم إليه ، فهو بهم رؤوف رحيم كما وصفه ربه عز وجل فقال : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ [1] .

وعلى الداعية إلى الله أن يقدر أن المدعوين لا يعرفون مصلحتهم ، وأنه هو رائد يجمعهم حوله ، ويدلهم على طريق الخير طريق الإيمان بالله تعالى ، وكما قال ﷺ " **إن الرائد لا يكذب أهله** " ، فهو يصدقهم القول

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

وينبههم إلى أن اتباعه هو الهدى ، والنكث على الأعقاب يؤدى بهم إلى الضلال والهلاك .

وكان ﷺ لا يلتفت إلى إعراضهم عنه ، بل يحاول جاهداً ضمهم إليه وكثيراً ما كان يكلف نفسه الجهد ، والمشقة الكبرى فى هدايتهم ونصحهم حين قال له ربه : « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً** » (١) .

وحين آذوه ﷺ سعى إلى الطائف وجلس يشكو : " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهَّمنى ، أو إلى عدوٍ ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك ، أو يحل علىَّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك** " .

وقد جاء فى الخبر أن جبريل ــ عليه السلام ــ نزل عليه ﷺ وجاءه ملك الجبال قائلاً له : لو شئت أطبق عليهم الأخشبين ( جبلان ) فقال : لا ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، وقال ﷺ : " **لكل نبى دعوة مستجابة وأدخر دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة** " .

هكذا كان حدبه ﷺ وتمسكه بهداية قومه مما هيأ للمستعصين عليه أن يستجيبوا ويدخلوا فى دين الله .

---

(١) الكهف : ٦ .

# طريق الدعوة ليس طريق العنف والقسوة بل طريق الأخذ بالحسنى

إن الرسول ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام لم يكن مكرهاً لهم عليه ، ولا منفراً منه ، بل كان متوداً إليهم ، عارضاً أمره بالحسنى والرفق ، واللين كما قال له ربه : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ [1] .

هذا غلام يسمى ( عدّاسا ) غلام نصرانى كان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ــ بالطائف ــ بعثا به إلى الرسول ﷺ يحمل قطفاً من العنب على طبق ليأكل منه ، فلما وضعه عدّاس بين يدى الرسول ﷺ وضع رسول الله ﷺ فيه يده ، ثم قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عدّاس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله ﷺ : ومن أهل أى البلاد أنت ياعدّاس وما دينك ؟ قال عدّاس : أنا نصرانى ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخى كان نبياً ، وأنا نبىّ ، فأكبّ عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ، ويديه ، وقدميه .

وهذا الشاعر سويد بن الصامت جاء حاجاً أو معتمراً ، وكان قومه يسمونه " الكامل "لجلده ،وشعره ، وشرفه ، ونسبه ، فتصدى لرسول الله

---

(1) النحل : ١٢٥ .

حين سمع به فدعاه الرسول ﷺ إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثلُ الذى معى ، فقال له رسول الله ﷺ :

وما الذى معك ؟

قال : مجلة لقمان ( يعنى حكمة لقمان ) .

فقال له الرسول ﷺ :

اعرضها علىّ ، فقصها عليه سويد .

فقال له الرسول الكريم ﷺ : إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىّ هو هدى ونور .

فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه .

وهكذا نرى الكلام الهادئ المتبادل للإقناع بالحجة فى غير شدة أو غلظة ، فيؤثر فى المدعوين أثره المحمود ، ويفسح مجالاً لمعرفة أسس الدعوة ، ومبادئها ، وحسن الاطلاع عليها ، ونشر ما تضمنته من هداية ورشاد .

فليست الدعوة إذاً بالقهر والجبروت ، وليست بالانفعال والغضب ، ولا بتخطئة الآخرين والمصادرة على أقوالهم وأفعالهم ولا بإبراز معايبهم إنما يكون البيان الموضح والأخذ بالفكر والتعقل والفهم ، والتبصرة بالحقائق والتعريض بدل التصريح وإعطاء المهلة للمخاطب أن ينظر فيما يعرض عليه وأن يأتى إليه طائعاً مختاراً إذا وجد أن الصواب فى التوجه

إليه ، وإن بيان المحاسن بالحق والصدق لا بالمبالغـــة والتعصـــب يفتـح المجال للأخذ بالصحيح من العقائد والأفكار .

وهذا كان المسلك الذى سلكه الرسول ﷺ فى دعوته إلى الناس فحقق الغاية المرجوة ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

# عرضه ﷺ نفسه على القبائل فى المواسم

كان الرسول ﷺ يعرض نفسه فى المواسم ــ كمواسم الحج وغيره ــ يدعو القبائل المجتمعة إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويطلب منهم الإيمان ، ومعاونته على نشر دعوته ، وبيان ما بعثه الله به .

فكان ﷺ يقف على الأقوام ، ثم يقول :

يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتمنعونى ، وتصدقوا بى حتى أبيِّن عن الله ما بعثنى به .

ومن الأقوام الذين عرض نفسه عليهم بنو كلب ، وبنو حنيفة ، وبنو عامر .

وبعض هؤلاء ــ الذين كان يعرض نفسه عليهم ــ كان يصيبهم الكِبرُ ، والبغى فيُعرضون .

ولكن ما لبث الأمر حتى استجاب بعض الوافدين للحج من قبائل العرب ، ومن هؤلاء رهط الخزرج الذين اجتمعوا عند العقبة ، وأراد الله بهم خيراً ، فحين دعاهم الرسول ﷺ إلى الله عز وجلّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن قال بعضهم لبعض : لتعلموا والله إنه النبىّ الذى توعدكم به اليهود ، فلا تسبقنّكم إليه ، فاستجابوا وصدقوا الرسول ﷺ ، وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام ، وتنبأوا بإصلاح ذات

البين بين قومهم ــ من الخزرج والأوس ــ بالدخول فى الإسلام ، ووعدوا بأن يدعوا قومهم إليه ورجعوا إلى قومهم وقد آمنوا وصدقوا ، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً ، وهذا فى بيعة العقبة الأولى .

وقد أرسل الرسول مع القوم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين ، وكان يصلى بهم فى المدينة .

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج مع الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج من قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ على اللقاء الثانى فى العقبة ــ بعد الفراغ من الحج ــ فلما فرغوا منه اجتمعوا فى الموعد المحدد للقاء الرسولﷺ ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو .

وكانت البيعة على اتباع دين الله ، ومنع الرسول ﷺ مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، وعلى السمع والطاعة فى عسرهم ، ويسرهم ، ومنشطهم ، ومكرههم ، وإيثار الرسول على أنفسهم ، وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم ، فضربوا على أيدى الرسول وبايعوه .

وقد قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم كفلاء ، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، ثم قال لهم الرسول : أنتم على قومكم بما

فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومـــــى ــ يعنى المسلمين ــ قالوا : نعم .

وقد أسهم ذلك فى إعزاز الإسلام ، ونصر دين الله .

# الهجرة وحسن التخطيط لنهضة الأمة

لم تكن الهجرة مجرد خروج النبى ﷺ من مكة إلى المدينة وانتهى الأمر بل كانت انطلاقاً إلى آفاق أرحب تنتشر فيها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولم يكن قيام دولة الإسلام مبنياً على العنف أو القهر أو إعمال السيف وإنما يثير أعداء الإسلام عليه ما ليس منه .

إن قريشاً والمشركين هم الذين آذوا المسلمين واضطهدوهم واعتدوا عليهم وضيقوا عليهم سبل الحياة وآذوا رسول الله ﷺ فى شخصه وفى دعوته .

ولما وجد أن البيئة المكية آنذاك غير صالحة للمضى فى الدعوة رتب الأمر مع عناصر صالحة من أهل المدينة كانوا يقدمون فى مواسم الحج وقد عقد معهم العهد على الإيمان به ونصرته وذلك فى بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وكان العهد أن قال ﷺ للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى . قالوا : نعم ، وحينما قال بعضهم : هل ستنقض العهد بيننا ؟ قال لهم : بل الدم الدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

ولما استوثق الأمر له فى المدينة وأصبح له أنصـــار يـــأوى إليـــهم ويستعين بهم كان أمر الهجرة نقلاً للدعوة إلى بيئة المدينة التى اســـتجاب أهلها لها وفتحوا أذرعهم للوافدين عليها ممن يريد الهجرة .

تآمر المشركون عليه واجتمعوا فى دار الندوة وأحسوا بمدى خطورة أن يكون للدعوة الإسلامية أتباع وأصحاب خارج مكـــة وربمـــا يســـتفحل أمرها فتعم البلاد ويدخل فيها الناس أفواجاً ، ومصدر الخوف للمشـــركين هو الرسول الذى يحمل مشعل الهداية وله تـــأثيره ودبلوماســـيته فراحـــت قريش والمشركون يتآمرون ويتشاورون فى القضاء على محمـــد وخطتـــه وقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتـــم وإننـــا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيـــه رأيـــا وكان ما قصه الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ **وإذ يمكر بك الذيـــن كفـــروا ليثبتـــوك أو يقتلـــوك أو يخرجـــوك ويمكـــرون ويمكـــر الله والله خـــير الماكرين** ﴾ [1] .

كانت خطة الرسول ﷺ فى إعداده للهجرة أن أمر علـــى بـــن أبـــى طالب أن ينام على فراشه ويتغطى ببرده الحضرمـــى الأخضـــر وخـــرج رسول الله ﷺ من الباب وقد نام المتحلقون حولـــه مـــن فتيـــان القبـــائل المدججين بالسلاح وأخذ حفنة من التراب فى يده وجعـــل ينثرهـــا علـــى

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

رؤوسهم وهو يتلو صدر سورة يس إلى قوله تعالى ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ [1] .

ثم كانت الخطة بخروج الرسول وصاحبه أبى بكر إلى غار ثور ــ فى جنوب مكة ــ حيث لا تتجه الأنظار إليه وكانت المحاورة والمداورة والمناورة وتقسيم الأدوار التى يؤديها الفريق المخطط الواعى من أسماء بنت أبى بكر ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ــ رضى الله عنهم ــ والغار محاط بالسلاح الإلهى والملائكة التى تحميه كما قال الرسول ﷺ لابى بكر وقد وجد كافرا قادما إلى الغار : ( يا أبا بكر إن الملائكة تستره بأجنحتها ) .

ولم يكن الأمر بالسهولة كما يتصور المتصورون فقد أعد النبى ﷺ خطة محكمة وبعد خروجه وصاحبه من الغار وقطعهما المسافة إلى المدينة بتوجيه من عبد الله بن أريقط وحدوث المعجزات والبراهين على صدقه وصلا المدينة المنورة ونفذ الرسول الخطة الإلهية التى جاءته من رب العالمين . لقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين ــ الفقراء ــ والأنصار ــ الأغنياء ــ وحدث أن بنى النضير من اليهود قد نقضوا العهد مع الرسول ﷺ بعد غزوة أحد فطردهم من المدينة وغنم غنائم كثيرة وقال للأنصار : إن شئتم بقيت لكم أموالكم وقسمت هذه الغنائم على المهاجرين الفقراء وكان الظن أن الأنصار يوافقون على بقاء أموالهم لهم دون مشاركة

---

(١) يس : ٩ .

المهاجرين فيها ، لكن الأنصار قبلوا عرض النبى ﷺ وقالوا له : نحن مع ذلك نجعل المهاجرين يشاركوننا فى أموالنا فكان الواحد منهم يتنازل لأخيه المهاجر عن شطر ماله كما يتنازل له عن الزوجة التى يريدها فيطلقها ويتزوجها المهاجر ــ بعد العدة ــ وهكذا عمت روح الإيثار والتكافل والتضامن بعيد المدى ونزل فى ذلك قول الحق سبحانه :« **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصدقون * والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[1] .

بل أكثر من ذلك جعل الرسول ﷺ المهاجرين والأنصارى يرث كل واحد منهما الآخر وتلك خطة أدت إلى تلاحم الفريقين وتكوين مجتمع موحد متكافل متعاون وكان هذا من قبيل الوحى الإلهى الذى تخططه السماء للأرض ، لكى تنشأ أمة قوية كان مجمل أفرادها ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا وامرأة وطفلا ، استطاعت أن تثبت وجودها وتوحد صفوفها وتجعل أموالها شركة بينها فى طعامها وشرابها ووسائل حياتها بدعوة إسلامية كريمة إلى التماسك والتعاون كما قال تعالى : « **إن الذين آمنوا**

---

(١) الحشر : ٨ ــ ٩ .

**وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** ﴾ [1] .

فملكوا ناصية الدنيا ، تلك هى الوحدة والامتزاج الكامل والتلاحم بما هو أقوى من أواصر القرابة فى النسب فهم متكافلون يرث بعضهم بعضا وجعل الله تعالى ذلك شأنا خاصا بالمهاجرين فقط ، أما من لم يهاجر فلا يرث الأنصارى ولا يرثه الأنصارى ، لكن مع ذلك إذا استنجد به يهب لنصرته ويعاونه ضد من يعتدى عليه : ﴿ **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا** ﴾ [2] . ــ أى ليست لهم الميزة السابقة فى التوارث ــ ﴿ **وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر** ﴾ [3] . ــ يعنى يجب أن تناصروهم على عدوهم إذا استنجدوا بكم ــ وليعلم الإسلام العالم أنه لا يعتدى على من يسالمه ويعاهده منع الاعتداء على أهل الذمة ، فالإسلام لا يقاتل إلا من يعتدى عليه ﴿ **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** ﴾ [4] . ثم طلب من المسلمين عدم التعاون مع الذين يعتدون عليهم من أهل الكفر والضلال فقال لهم ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾ [5] ، ونبه على أن هذا المبدأ خطير فالتعاون مع

---

(١) الأنفال : ٧٢ .

(٢) الأنفال : ٧٢ .

(٣) الأنفال :٧٢ .

(٤) الأنفال : ٧٢ .

(٥) الأنفال : ٧٣ .

الأعداء له أضراره الفادحة كما قال تعالى : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ [1] .

ورفع القرآن الكريم وساما على صدر المهاجرين والأنصار لأنهم رفعوا شعار التعاون والتكافل ومناصرة الحق ونجدة الضعيف ، ومعاونة المحتاج لتكوين أمة مسلمة قوية بين دول العالم يمد الغنى فيها يده إلى الفقير ويدافع عن مصالحه ويتبنى مشكلاته ويحلها وهم يد واحدة على من سواهم ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ [2] .

فإذا أردنا أن نكون مثلهم وأن نحصل على المغفرة والرزق الكريم فعلينا أن نتعاون فيما بيننا وأن يكون الأفراد والدول الإسلامية على مستوى المسئولية من الدفاع عن حقوق المظلومين منهم ، والوقوف بجانب من يحتاج إلى المساعدة ورد العدوان عنهم ليعود للأمة مجدها كما قامت دولة الإسلام الأولى .

وفيما لقيه رسول الله ﷺ والمؤمنون المهاجرون من معاناة في الهجرة وما أدت إليه من قيام دولة الإسلام أقول :

**ولاقى نبى البر أعجب رحلة ... وأفرغ صبرا فى الخطوب جميلا**

**تقاذفه أيدى الجبال وهامها ... ويحمله قلب الرمال مهيلا**

**على القنن الرعناء فوق رقابها ... يكللها برد الغمام خضيلا**

---

(١) الأنفال : ٧٣ .

(٢) الأنفال : ٧٤ .

ويهبط وديانا يخوض غمارها ويسلك فى غور الوناد جـفولا
ويسكن أحيانا مع الليث زائرا ويؤنس فى داجى الفلاة وعولا

***

وسار رسول الله قاصد طيبة وتحدوا أنفاس الرجاء دليـــلا
تغنيه آمال الشعوب مشيدا مغانى عهد كالربيع خمـــيلا
ودولة عز يستطيل بناؤها ويبلغ رحب الخافقين شـــمولا
وينشر فيها من مبادئ عدله حيـاة بلا ظلم تـدوم طويـلا
يعيش بها حق يسود نهاره ويزهـق ليل بالسماح أديـــلا

***

# معالم بارزة فى الهجرة النبوية

من الأحداث التى ستبقى معالمها بارزة فى حياة الأمة الإسلامية مؤكدة نصر الله للمؤمنين حادث الهجرة ، ويبقى المحللون للسيرة النبوية يستخلصون منها أسس النهضة الاجتماعية ، حسن التخطيط للمستقبل المزدهر سياسيا واقتصادياً ، واتباع القدوة الحسنة والمثل فى حكمة الرسول ﷺ وصحابته الإجلاء والمسلمين الأوائل فى نشر حضارة الإسلام بالحسنى لا بالسيف والقهر والعدوان .

ونستطيع أن نذكر المعالم البارزة التى تعد سراجاً منيراً تهتدى به الأمة فى نهضتها وتقدمها فى ما يلى :

## ١- المعلم الأول : صدق العزيمة والصبر على المكاره .

إن الرسول ﷺ تحمل من المشقات والصعاب فى نشر الدعوة الإسلامية عبئاً ثقيلاً ، وكان المسلمون الأوائل يعانون معه معاناة شديدة من أذى المشركين ، وكانت مقاطعة المشركين للمؤمنين فلا يبيعون لهم شيئاً من طعام أو غيره ولا يشاركونهم فى شئون حياتهم وبذلك تسوء أحوالهم المعيشية والاقتصادية مما ترك أثراً بالغاً فى عناء المسلمين ومكابدتهم الشدائد .

ولما كانت مكة بمن فيها أغلقوا الأبواب أمام نشر الدعوة الإسلامية ووضعوا العقبات والعراقيل فى طريقها مريدين أن يطفئوا نور الله فقد خرج الرسول الكريم باحثا عن مكان جديد فذهب إلى الطائف ليقابل بعض القبائل هناك ، ويعرض عليهم الإسلام فالتقى بالأعيان من قبيلة ثقيف ، لكنهم سخروا منهم وجابهوه بالعناد والمكابرة وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى لجأ الى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ليحتمى به من هذا الإيذاء ، ولما ضاقت به الحال لم يجزع ولم ييأس بل صبر وتحمل ما لم يتحمله غيره من المتاعب والأرزاء .

## ٢ المعلم الثانى : الهجرة معلم بارز للانتصار بالله حين وضح قصور الحماية البشرية وعدم نجاحها :

ففى خضم هذه التيارات المعادية للدعوة توجه الرسول ﷺ إلى الله تعالى شاكياً له حاله طالباً نصرته ومعونته ليذلل له الصعاب ، فقال : " **اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أبوء إليك أن ينزل بى سخطك ، أو يحل علىَّ غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك** " .

ولما نزل له جبريل أو ملك الجبال وقال له : [ **إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين** ] وهما جبلان بمكة لم يرض ﷺ أن يكون مصير

قومه مصير غيرهم من الأقوام البائدة الذين دعا عليهم أنبياؤهم فهلكوا كقوم نوح مثلا ، وقال ﷺ : **[ لكل نبى دعوة مستجابة وأدخر دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ]** .

فالنبى ﷺ – مع صوابه لم ييأس ولم يضل طريق الصواب بحكمته وحس تعامله مع المشكلات .

## ٣ المعلم الثالث : البحث عن مواطن أخرى تسترعرع فيها الدعوة :

جاء الإذن للنبى ﷺ أن يبحث عن هذه المواطن فى أمكنة أخرى بعد أن جرب مكة وما حولها ويروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : **[ رأيت فى المنام أنى أهاجر إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة يثرب ]** ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يريد الهجرة قبل المصطفى ﷺ لكن النبى ﷺ قال له : ــ كما يحكى رواة الحديث ــ على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ويرافقه ثم جاء الإذن بالخروج فاصطحب أبا بكر رضي الله عنه .

## ٤ المعلم الرابع : نصر الله وقوة الإيمان أقوى من قوة السلاح :

إن الرسول الكريم وصحابته الأجلاء لجأوا إلى ربهم ففتح أمامهم باب النصر الإلهى على مصراعيه .

فكيف خرج الرسول ﷺ من بيته صباح الهجرة وبابه مغلق وحوله المجتمعون من كفار مكة من كل قبيلة شاب ليضربوه ضربة رجل واحد فيفرق دمه فى القبائل ؟

لم يخرج من السقف ولم يعبر من فوق السور أو الجدر إنما خرج من الباب بإذن الله تعالى .

خرج من بين أظهر المجتمعين حول البيت دون أن يصاب بسوء أو أذى ، وحثا التراب فى وجوههم وعلى رؤوسهم وخرج وهم لا يحسون به ، وقرأ صدر سورة " يس " إلى قوله تعالى : ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ (١) .

وكذلك تأييد الله تعالى للمتقين يجعل لهم من كل ضيق فرجا ومن كل همٍّ مخرجا كما قال سبحانه : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ (٢) . وكما قال عز حكمه : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ (٣) .

دخل ﷺ الغار مع رفيقه الصديق ، وكان الكفار يغدون ويروحون فوق الغار وحوله بحثاً عنهما ، وباب الغار مفتوح ليس عليه إلا خيوط ضعيفة من خيوط العنكبوت لا تخفى ما وراءها ، وقد باضت حمامتان فى عش عليه ، وفى صحيح البخارى قال أبو بكر : **[ كنت مع النبى ﷺ فى**

---

(١) يس : ٩.

(٢) الطلاق : ٢ .

(٣) الأنفال : ٣٠ .

**الغار فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا ، قال : يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما ] .**

انتصر محمد ﷺ ، نصره ربه وأعطاه من العزة ما لا يتحقق بقوة السلاح والعتاد والجيوش ، كان محمد ﷺ والصديق وحدهما لكن العناية الإلهية خصته بقوة أشد وأقوى من القوة المادية مهما يتكاثر عددها أو طبيعتها ، إن قوة الإيمان كانت حصناً حصيناً حولت نسيج العنكبوت الواهن إلى ما هو أقوى من الحصون التى تصنعها الجيوش المقاتلة ، وكانت أقوى من الدبابات والطائرات مع أن خيوط العنكبوت لا تحمى شيئا ولا تمنعه ﴿ **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾ (١) .

وفى ذلك قلت فى بردتى اللامية :

**فى غار ثور أبو بكر بدا قلقاً**
**لموقف غزرت فيه المواجيل**
**والكفر فى عسفه مهما يزد سفهاً**
**فإن تياره واه ومذلول**
**وينزل الله مما عنده مدداً**
**ويملأ الرحب فرسان وتصهيل**
**وحول جدرانه فى كل ناحية**
**جند غلاظ لهم فتك وتبسيل**

---

(١) العنكبوت : ٤١ .

**والعنكبوت به تبنى بلا وهـــن**

**بيوتها لا كما تبنى الغـــــــرابيل**

**حمامتان بحضن البيض قد غفتا**

**على هشيم ولكن عشه غـــــــيل**

**فطاف أرســـــــــالهم بالغار فى عجل**

**ولم يعوجـــوا وأنضى القوم ترسيل**

وقد ظهر صدق الرسالة المحمدية ، والحماية الإلهية حينمـــا حـــاول سراقة بن مالك بن جعشم أن يلحق بالرسول ﷺ وصاحبه ليحصل علـــى مكافأة قريش لمن يأتى بهما حيين أو ميتين ، لكن سراقة فشل فى الحصول عليهما أو إيذاء الرسول ﷺ وصاحبه ، وقد تحدث سراقة نفسه عن ذلك ـــ كما يروى البخارى فقد حاول أن يحصل على هذه المكافـــأة وحـــده إذ جاءه رجل وأخبره أنه رأى أسودة تبدو من بعيد ويظن أنهم محمد وصاحبه والرجل الذى يعرفهما الطريق عبد الله بن أريقط فقال سراقة للرجل : لا . إن هذه الأسودة رجلان يبحثان عن ضالة لهما ثم تخفى ، وأمـــر امرأتـــه بتجهيز فرسه وأخفى بريق سيفه حتى لا يراه أحد وركب فرسه وأسرع بها فلما دنا من الرسول وصاحبه عثرت به فرسه فسقط عنها فضرب الســـهام التى كانت معه ليقترع بها ليعرف هل يستمر أو يرجع فخرج الذى يكـــره ويأمره بعدم الاستمرار فى غيه ، لكن سراقة استمر فى ملاحقه الرســـول الكريم وعصى الأزلام حتى سمع قراءة النبى ﷺ ورأى النبـــى لا يلتفـــت

وأبو بكر يلتفت كثيراً فساخت يدا فرسه فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ــ وفى رواية البزار فارتطمت به فرسه إلى بطنها ثم زجرها فنهضت و إذا لأثر رجليها غبار أو دخان ساطع وهنا أحس سراقة بالخطر على نفسه ويقول : إنه وقع فى نفسه حين لقى ما لقى أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، ثم أسلم وكتب له الرسول كتاب أمان .

وفى ذلك قلت فى بردتى اللامية :

**سراقة اشتد جواباً به فرس**
**يسابق الريح فى ــ الأجواء ــ مرحول**

**وأسرع الخطو لما طار طائره**
**وأدرك الركب لكن حاله حول**

**غاص الجواد به والجبهة ارتطمت**
**لما دنا وسبيل المكر مخلول**

**وثار منه غبار ساطع وعلا**
**مثل السحاب له فى الأفق تخييل**

**فصاح يبغى أماناً فاستجيب له**
**وحاط خاتم رسل الله تكليل**

## ٥ ــ المعلم الخامس : التعاون والقضاء على شح النفوس اقتداء بالأنصار :

هذا الفريق الذى ناصر الرسول الكريم بإسلامه ومد يد العون للمسلمين ولرسول الله ﷺ ، فقد التقى رسول الله ﷺ بفريقين من الأنصار

فى مواسم الحج السابقة على الهجرة فى بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وقد أسلم المبايعون وعملوا على نشر الإسلام بالمدينة بين أقوامهم ولما حدثت الهجرة كان الأنصار خير عون للمهاجرين وامتدحهم المولى سبحانه بقوله : ﴿ **والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن زيد بن عاصم : [ **لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً أو شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار** ] .

فالنبى ﷺ يتمنى أن يعلن انتماءه وانتسابه للأنصار فلولا الهجرة لا نتسب للأنصار إكرامًا وحبًا لهم وأن الناس يسلكون مسالك متعددة وهو إذا أراد الطريق الذى يسلكه الأنصار دون غيرهم والأنصار بمنزلة الشعار له ــ وهو الثوب الذى يلى الجسد ــ والناس دثار ــ وهو الثوب الخارجى للإنسان ــ فالأنصار أقرب الناس إلى الرسول ﷺ ، وأحبهم إليه وأحظاهم عنده بالثناء والتقدير .

وهذا المدح للأنصار بين رفعة شأنهم وعظم منزلتهم عند الله تعالى . وقد امتدح المولى سبحانه المهاجرين أيضاً حين قال تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً**

---

(١) الحشر : ٩ .

من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ [1] ، ومدحهما معاً حين قال سبحانه : ﴿ إن الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ [2] ، ثم قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ [3] .

ومن سار على دربهم لهم مثل جزائهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ والذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شئ عليم ﴾ [4] .

علينا أن نفتدى بهم فى العزيمة والصبر على الشدائد وعدم اليأس من روح الله وأن يرحم القوى فينا الضعيف وأن يمد إليه يد العون والنصرة وأن يعتصم بالإيمان الصادق ليخاف منا عدونا ولا يملك علينا الخوف أقطار أنفسنا وأن نتشبه بهؤلاء الرجال الذين نصروا الله فنصرهم .

**فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم**

**إن التشبه بالرجال فلاح**

* * *

---

(١) الحشر : ٨ .

(٢) الأنفال : ٧٢ .

(٣) الأنفال : ٧٤ .

(٤) الأنفال : ٧٥

# الهجرة والتضحية

كان المهاجرون من المسلمين الأوائل بتضحيتهم بالأموال والأنفس يرجون رحمة الله تعالى قال سبحانه: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾ (١).

حكى المولى سبحانه عنهم عملهم المخلص، وبين هدفهم النبيل الذى قصدوه فأعطاهم الله تعالى الرحمة ولا يستحق الرحمة إلا من عمل لها وكانت لهم منزلتهم الرفيعة وعلو الشأن والسيادة والقيادة فى الدنيا فملكوا ناصيتها بنصر الله ورضوانه، وحازوا الشرف الأخروى على كل البشر قال تعالى: ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** ﴾ (٢).

إن المسلمين الآن أكثر من مليار مسلم يحتاجون إلى الدفاع عن أنفسهم وديارهم وأن يردوا العدوان عليهم إذا آزر بعضهم بعضا وتضافرت جهودهم وبذلوا النفس والنفيس للذود عن حياضهم أما التفرق والتشرذم فهو عامل ضعف وخذلان، يبعدهم عن رضا الله وعن رحمته.

كيف يستحق الرحمة المتقاطعون المتدابرون المتخاذلون ؟.

---

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) التوبة: ٢٠.

حقوق المسلمين تسلب ومقدراتهم تضيع ولا نجد صدى لوحدة أو عمل جماعى يعيد إليهم صورة المهاجرين الأوليين الذين استهانوا بالصعاب فهانت أمامهم أعتى المعضلات .

لماذا لا ينتزع الخوف من قلوبهم ؟ لماذا تجد الخوف يدب فى نفوسهم :

الخوف على النفس ، الخوف على المال ، الخوف على السرير ، الخوف على الدور ، الخوف على الأولاد ، نحن نحتاج إلى صلابة الإرادة وكثرة التضحية حتى لا يذل المسلم أو يهان .

لم الخوف والله تعالى قد تكفل لمن أعدَّ وخطط وقدم النفس والمال أن ينصره الله فلا يخذله وأن يفتح عليه أبواب الرزق الواسعة فلا يغلق شئ فى وجهه كما قال تعالى : ﴿ **والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسناً وإن الله لهو خير الرازقين** ﴾ (١) .

تكفل الله تعالى بفتح أبواب الرزق لهؤلاء المهاجرين الذين أخلصوا لله ولم يبخلوا بشىء فى سبيل كرامتهم وعزتهم ، الرزق الحسن الكثير لا خوف على مال أو عيال فمن طلب الموت توهب له الحياة ، ومن ظلم ثم كافح نال حفه ونهضت أمته بالاستقرار والرخاء ونعم بالسعادة والعزة قال تعالى : ﴿ **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ (٢) .

---

(١) الحج : ٥٨ .

(٢) النحل : ٤١ .

إن الله سبحانه وتعالى تعهد للمسلمين الأوائل المهاجرين المضحين بالنفس والمال بإدخالهم المدخل الذى يرضونه ، حقق لهم ما أرادوا واستجاب لما طلبوا وفتح لهم ما أغلق على غيرهم كما قال تعالى : **﴿ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾** (١) .

إن المسلمين يدخلون اليوم مدخلاً لا يرضونه من الظلم والعسف وسلب الحقوق والأوطان فلماذا لا يدخلهم الله المدخل الذى يرضونه من رد العدوان وإجابة ما طلبوا ؟ إنهم لم يأخذوا بما أخذ به السلف من التضحية بكل شئ فى التعاون والكفاح ومساعدة المحتاجين .

وعد الله سبحانه من بذلوا ومن تحملوا الأذى وأعدوا لرد العدوان ببسالة وشجاعة أن يعطيهم خير الدنيا ويذهب عنهم متاعبها وآلامها ويعيد إليهم حقهم المسلوب ونعم الحياة إلى جانب ما أعد لهم من الثواب والرضوان فى الجنة كما قال تعالى : **﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾** (٢) .

---

(١) الحج : ٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٩٥ .

# التماسك والمؤازرة أساس قوة الدعوة الإسلامية

حينما قدم النبى ﷺ المدينة عمل على تقوية الأواصر والصلات بين الناس ، والقضاء على البغضاء والشحناء وما كان من حروب ومنازعات بين الأوس والخزرج وغيرهم من القبائل .

وعمل على أن يكون المسلمون من المهاجرين والأنصار يداً واحدة لا تفرقة بينهم ، ولكل منهم حقوقه وواجباته استمساكاً بقوله تعالى : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة النار فأنقذكم منها ﴾** (١) .

لقد أسلم الأنصار بحيث لم تبق دار من دورهم إلا أسلم أهلها ماعدا بعض الأحياء التى بقيت على الشرك ، ولم يكرههم الرسول ﷺ على الدخول فى الإسلام .

وقد كتب الرسول ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم ومن هذا الكتاب : " **بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين**

---

(١) آل عمران : ١٠٣.

**المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس .**

وبين أن المهاجرين والأنصار يتحملون الديات فيما بينهم ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى جريرة ظلم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، وأن من تبعهم من اليهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، البر دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، إنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ .

# المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد كان رسول الله ﷺ دائب الدعوة إلى وحدة الكلمة ، وتقوية الصف ، عاملاً على نبذ الفرقة وأسباب الشقاق ؛ لما يعلم من خطورة عواقبها فى القضاء على الدعوة أو إعاقة مسيرتها .

لقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين نزلوا المدينة. وتلك الأخوة عامل وطيد لقيام الدعوة على تعاون الجميع وتعاطفهم وتوادهم .

فجمع الرسول ﷺ بين أخ مهاجر وأخ أنصارى ، حتى كان المال بينهما مشترك والدار مشتركة ، والمصالح واحدة يهتم كل إنسان بشأن أخيه .

فكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير ( من الخزرج ) أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ( من الخزرج ) أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ( من الخزرج ) أخوين وهكذا .

ومن هذا لم يكن المهاجرون يعتمدون على هذه الأخوة فى القعود عن طلب الرزق أو ترك عفة النفس وعزتها ، بل اتخذوها باباً إلى العمل وفتح أبواب الرزق .

وقد أخرج البخارى فى مناقب الأنصار ، باب " إخاء النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار" بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال : " لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : " إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجاتى هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها ، فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لى فى ذلك . هل من سوق فيه تجارة ؟ فدله على السوق ، فأتى إليه عبد الرحمن فباع واشترى وربح ، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة ، فقال رسول الله ﷺ : تزوجت ؟ قال : نعم ، قال : ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار ، قال : كم سقت ؟ قال : زنة نواة من ذهب ــ أو نواة من ذهب ــ فقال له النبى ﷺ : أولم ولو بشاة " .

وقد آل أمر عبد الرحمن بن عوف إلى أن أصبح غنيا يملك ــ فى بعض الوقت ــ ثمانية آلاف دينار تصدق بشطرها ، وقيل أنه تصدق بعد ذلك بأربعين ألف دينار وحمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة [1] .

وقد عادت المؤاخاة بالخير الوفير على وحدة الصف الإسلامى وتحقق للمهاجرين الأنس والراحة النفسية بعد مفارقة الأهل والأحبة فى مكة وكانت عاملا فى نصرة بعضهم لبعض ، وتعاونهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

---

(١) أخرج ذلك الطبرانى وغيره .

ولما انتشر الإسلام وقوى أمره ، وزالت آثار الغربة وأسباب الهجرة ، وعزت الأمة وازدادت تماسكا وشكيمة ، وزال سبب الفاقة وقلة المال ، نزلت الآيات القرآنية تبين أمر الميراث ، وأنه لذوى القرابة والرحم كما قال تعالى : ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ [1] ، مع بقاء الأخوة الإسلامية العامة فى المودة والرحمة والعطف ، قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [2] .

وقد امتدح الله تعالى الأنصار فيما فعلوه مع إخوانهم المهاجرين فى قوله تعالى : ﴿ **والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [3] .

* * *

---

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

(٣) الحشر : ٩.

# منهج الرسول ﷺ أن يكون القتال دفاعا لا هجوما

جاء الرسول ﷺ برسالته لهداية الناس ، وإنقاذهم من الضلال ، والإسلام دين إقناع وحجة ، وليس دين عنف وقتل .

وقد شاع بين المستشرقين ، والحاقدين على الإسلام أن الإسلام إنما أنتشر بحد السيف ، أن الرسول الكريم كان يحمل السيف في وجه المعارضين ، وجاء المستشرقون ـ وأذنابهم ـ في ذلك بالحديث المشهور : **[ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله ]** .

والواقع أنه لم يكن من منهج الرسول ﷺ في نشر دعوته الاحتكام إلى السيف إلا في وجه المعتدين عليه ، المناوئين للدعوة ، الواقفين في سبيلها ، قاصدين القضاء عليها ، وهذا الحديث المشار إليه إنما كان المقصود به العرب من مشركي مكة ، وأشباههم ممن آذوه أشد الإيذاء ، ووقفوا له بكل سبيل يصدون عن سبيل الله .

ويؤكد أن الإسلام لا يستخدم القتال إلا عند الضرورة الملحة ، ومن الآيات القرآنية التي حددت طبيعة الجهاد في الإسلام ، وأنه لا يكون إلا دفاعا لرد من يحاول النيل من الرسول ، والدعوة ، والمؤمنين .

يقول تعالى : **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث**

**أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾** [1] .

ثم يقول سبحانه : **﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾** [2] .

فإباحة القتال إنما جاءت فى إطار الدفاع المشروع عن النفس ، والمال ، والأهل ، والدعوة إلى الله ، فالرسول ﷺ لم يبدأ أحدا بالقتال ، وإنما كان يعتدى عليه ، فيرد العدوان ، والغزوات وأسبابها تشهد بذلك .

فغزوة بدر كانت بعد أن أجمع المشركون أمرهم على القضاء على الدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة ،وإن كانت قد بدأت بإرادة المسلمين اعتراض قافلة تجارية للمشركين ، فإن ذلك كان طلبا لاسترداد بعض أموال المسلمين التى استولى عليها المشركون فى مكة ، وطردهم من ديارهم .

وغزوة أحد كانت كذلك للدفاع بعد أن هاجم الكفار المسلمين فى عقر دارهم بالمدينة .

وكذلك غزوة الأحزاب كانت بهجوم عدد ضخم من المشركين وأعوانهم على المسلمين فى المدينة فحفر المسلمون خندقا لحماية أنفسهم وممتلكاتهم وهكذا .

---

(١) البقرة : ١٩٠ ــ ١٩١ .

(٢) البقرة : ١٩٤ .

وفتح خيبر كان لنقض اليهود للعهود ، وتأليب القبائل على الدعوة الإسلامية .

ولذلك فإلصاق التهمة بالإسلام بأنه يهاجم الآخرين ويشهر السيف فى وجههم منطق غير مقبول ، وحديث [ **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** ] إنما يعنى به قتال من قاتلوه ، واعتدوا عليه من المشركين الذين لم يتركوا لونا من ألوان الإيذاء ولا أسلوبا من أساليب العدوان إلا لجأوا إليه ، فكان لابد أن يرد على المهاجمين بما يوقفهم عند حد عدم الاعتداء فالذى يترك للآخرين أن يستولوا على حقوقه دون أن يمنعهم هو إنسان مفرط فى حق نفسه وحق أهله وحق أمته على السواء .

# الإذن بالقتال

أمر الرسول ﷺ بأن يتخذ أسلوب الحجة ، البرهان ، واللين والسماحة ، والصبر فى دعوة الناس .

ولما بدأ دعوته العلنية ، وراح يعظ الناس ، ويأخذ بأيديهم من الضلالة إلى الهدى ، وقف المعاندون فى سبيل الدعوة ، وقاوموها مقاومة شديدة للقضاء عليها محاولين وأدها ، وتعذيب أهلها عذابا شديدا .

وكان الرسول ﷺ مع ذلك يؤثر الدعاء لقومه بالهداية قائلا : [ اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ] .

وكان يصبر ، ويطلب من المسلمين الصبر على الإيذاء حتى بلغ بهم الجهد ، والعنت أقصاه .

وقد أدى ذلك العذاب إلى هجرة بعض المسلمين إلى أماكن أخرى غير مكة كالحبشة ، والمدينة ، ونهبت دورهم ، وأموالهم ، وشردت أسرهم تشريدا مريعا .

واشتد أولو البطش من قريش على المسلمين ، وقطعوا على الدعوة الإسلامية كل سبيل محاولين قهر أهلها ، ومنعها من الانتشار ، أو الاستمرار ، وأضحى الداخلون فى الإسلام ما بين مفتون فى دينه ، وبين معذب فى أيدى الكفار الجبابرة ، وبين هارب فى البلاد فرارا من الشرك وأهله .

وبدا أن الكفار لا ينصاعون لأوامر الله مع تكذيبهم رسوله ﷺ ، ومع إرادتهم القضاء عليه ، والتخلص منه ، ومتابعتهم له فى كل مكان يحل فيه .

ولما كانت حال المسلمين قد أصبحت فى خطر يتهددهم على هذا النحو الخطير جاء الأمر الإلهى لرسول الله بإباحة القتال له ولأمته دفاعا عن أمن الدعوة الإسلامية ، وحماية لها ، وتخلصا من الظلم الذى حل بالإسلام وأهله ، فنزلت الآيات القرآنية التى أوضحت إباحة القتال دفاعا عن الدعوة ، وعن النفس ، والأهل ، والعرض ، والمال المسلوب ، قال تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [1] .

فأحل المولى عز وجل لرسوله القتال لدفع الظلم الذى حل بالمسلمين ، ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم يعبدون الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر .

---

(١) الحج : ٣٩ ــ ٤١ .

ونزل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾ [1] .

أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وحتى لا يعبد مع الله غيره .

وهكذا كان القتال للدفاع منهجا للدعوة عند تفاقم الأضرار التى كانت تحيق بالدعوة ، وأهلها

وهكذا إنا نظرنا إلى الغزوات التى تمت للدفاع عن الدعوة والمسلمين ــ فهذا رسول الله ﷺ يوم بدر ينادى أهل القليب ــ وهم قتلى المشركين الذين قبروا فى بئر بدر ــ يقول لهم : [ **يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس** ، ثم ناداهم : **ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام** ــ فعدد من كان منهم فى القليب : **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟** ] فقال المسلمون : يا رسول الله أتنادى قوما قد جيفوا ؟ قال : [ **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا** ] .

---

(١) البقرة : ١٩٣ .

# انتصار بدر والدفاع المشروع

لم يكن الإسلام يوما ما مهاجما أو معتديا ، بل لاقى المسلمون صنوف الإيذاء ، والابتلاء ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : **[ لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال ]** .

وكانت قريش تؤذى المسلمين من أتباع رسول الله ﷺ حتى يفتنوهم عن دينهم ، وكل قبيلة كانت تؤذى المسلمين منها بالضرب والجوع والعطش ، ويضعونهم على الرمل الساخن إذا اشتد الحر وكان النبى ﷺ يحفزهم على الصبر ، وكانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ونصحهم إلا يصرفهم الأذى عن عقيدتهم وإيمانهم وبشرهم أن الله تعالى سينصر دينه وينشره فى الأقاليم والآفاق ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون على الرغم من المعاناة التى يقاسونها ، قال تعالى : ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا** ﴾ [1] .

ولما عظم البلاء بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فقال لهم : **[ لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد**

---

(١) الفرقان : ٤١ .

**وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ]** ، فهاجروا وبحث رسول الله ﷺ عن بيئة جديدة للأمن فذهب إلى أرض الطائف ولم يجد عونا من أهلها ، بل وجد صدا وعنادا ، وشكا إلى الله تعالى فى دعائه المشهور هناك ثم وجد استجابة من أهل المدينة فى مناصرته ومعاونته فعقد معهم بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وفتح له باب الهجرة إلى المدينة فهاجر إليها وهاجر إليها من هاجر من المسلمين فى مكة ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى الحبشة منهم ، وقد نهب المشركون دورهم واستولوا على ممتلكاتهم ولم يكتفوا بذلك بل أعدوا الجيوش لمهاجمة الرسول وأصحابه فى المدينة ، فهل يقف مكتوف اليدين أو يدافع عن نفسه وأصحابه ؟ لقد نزلت الآيات الكريمة بالإذن بالدفاع : ﴿ **أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ [1] .

وأراد المسلمون أن يستردوا بعض أموالهم التى سلبها المشركون حين سمع رسول الله ﷺ بعير قريش قادمة من الشام فى طريقها إلى مكة فقال : **[ هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها تغل الله تعالى ينفلكموها ]** .

---

(١) الحج : ٣٩ ــ ٤٠ .

وعلم المشركون بما سيحدث لأموالهم فخرجوا وكانت القافلة قد أفلت بها أبو سفيان مما كان يقتضى رجوعهم لكنهم لغطرستهم وكبريائهم وجدوا الفرصة سانحة للهجوم على المسلمين فى المدينة بغية القضاء عليهم واستئصالهم واضطر المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم وذويهم وأوطانهم . وفى الحوار الذى دار قبل المعركة يقول المقداد بن عمرو : " يا رسول الله امض لما أمرك الله ولن نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكنّا نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون " .

وقام سعد بن معاذ معبرا عن موقف الأنصار فقال فيما قال : " والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وإنا والله لا نكره أن نلقى بنا عدونا ، فنحن صُدق فى الحرب صُبر فى اللقاء ، ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله ونحن معك " .

وقد أمدّ الله تعالى المسلمين بالمدد من الملائكة المسومين ، قال تعالى : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾ [1] .

---

(١) آل عمران ١٢٣ ــ ١٢٥

وكان إبليس قد أغرى المشركين بالقتال وهم فى جيش قوامه قرابة الألف مقاتل فلن يهزموا فى زعمهم المغرور ، قال تعالى :

**﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾** (١).

ونزلت الهزيمة السَاحقة بالمشركين المهاجمين ، ورجع جيش المسلمين وقد حاز النصر المبين ، ولم يكن إلا دفاعاً عن الحق والوطن ، ولا شك أن الدفاع عن العقيدة والنفس والمال أمر مشروع لا مجال لإنكاره وتجب دراسة الأسباب وما يترتب عليها قبل الحكم على التصدى للعدوان ، فالتصدى للعدوان مما تقره الشرائع والأديان كلها ويقره القانون الدولى باعتباره من حقوق الإنسان ؛ ولذا يجب مساندة كل ذى حق مغلوب وهو يدافع عنه ويعمل على استرداده ويجب أن تؤيد المؤسسات العالمية حق الشعب الفلسطينى فى استرداد أرضه وحماية أهله وماله ويجب مساندته والوقوف فى وجه العدوان الصهيونى الوحشى المستمر وحمايته الشعب الأعزل مما ينزله به العدو من الفتك والتدمير المتعمد والتشريد وسفك الدماء الطاهرة للأبرياء .

---

(١) الأنفال : ٤٨ .

# أسلوب المعاهدات والصلح

لقد كان من منهجه ﷺ أن تنمو الدعوة ويستمر انتشارها ، وكان خبيراً بما ينفع الناس ، وعالماً بأن ما لم يأت اليوم يأت غداً ، فما الداعى إلى التهور ، أو الشدة فى ممارسة الدعوة ؟ إن ذلك يؤدى إلى الإضرار بالدعوة وسالكيها ، وليس حماية لها ، فالحماية الحقيقية هى فى تهيئة الجو الصالح وانتهاز الفرص للنصر .

وقد حدث أن قدم النبى ﷺ سنة ست من الهجرة فى ذى القعدة معتمراً .

خرج النبى ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، ويعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظما له ، وكانوا سبعمائة رجل .

وأظهر الرسول لمشركى العرب أن الدخول فى الإسلام هو الخير ، والبعد عن الحرب والعدوان مطلب آمن لهم ولغيرهم .

قال ﷺ ــ لما وجد من قريش استعدادها للصد عن سبيل الله ــ : **[ يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله تعالى**

**عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ]** ( صفحة العنق ) .

ثم بركت ناقته فى موضع ـ هناك بالحديبية ـ فقال ﷺ : **[ ما خلأت ، ولا هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ]** .

ولكن قريشا كانت أشد شراسة وغلظة إذ قالوا لرسلهم الذين أخبروهم بأن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرا ، قالوا لهم : فو الله لا يدخلها علينا عنوة ، وإلا تحدث بذلك عنا العرب .

ثم بعد أن أرسل الرسول ﷺ خراش بن أمية الخزاعى ، وبعده عثمان ابن عفان أرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ للصلح ، ثم جرى الصلح بينهما .

وقد وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ وكرر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : **[ أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ]** .

ثم أصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

فالمعاهدة كانت فى صالح الدعوة الإسلامية ، وقد سماها القرآن فتحاً فقال : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** ﴾ (١) .

فلما كان الصلح وتوقفت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا ،والتقى بعضهم ببعض كان ذلك تمهيداً دخل به فى الإسلام خلق كثير خلال مدة الصلح بما يقدره المؤرخون بأنه كان أكثر ممن دخل فى الإسلام قبل ذلك وأكثر منه .

---

(١) الفتح : ٢٧ .

# استعمال الحكمة فى التعامل لإنجاح الدعوة

إن الداعية لابد أن يستلهم الحكمة ، وأن يكون ذا فكر وخبرة لقبول دعوته ، وهى تحتاج إلى من يخطط لها ، فالدعوة ليست بالكلمة وحدها ، وإنما هى بالعمل وحسن التصرف ، وإحكام الأمور التى تفيد .

والدعوة تحتاج إلى العناية بها ، والدفاع عنها ، وفتح الأبواب لها .

ومنهج التصرف الإسلامى يقتضى البحث عن المداخل والمخارج ، والوعى الدائب العميق بالإيجابيات والسلبيات التى تدعو إلى الحفاظ على استمرارها . والدعوة الناشئة تحتاج إلى منهج بعيد الغور ، لا ينشد الظاهر من الأمور ، وإنما ينشد الأغوار البعيدة لتقويتها ، مهما تحط بها الأخطار وتدلهم الخطوب .

فصلح الحديبية ــ الذى عقد بين الرسولﷺ والمسلمين معه ، وبين المشركين ــ اشتمل على بعض الشروط القاسية ظاهراً .

لقد أظهر الرسول ﷺ السماحة الكاملة فى كتابة شروط الصلح ولم يهتم بالشكليات بقدر ما كان يهتم بالجوهر ، وما يعود به على أمر الدعوة ، وانتشارها ، من حيث لا يعلم من حوله بذلك .

دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ــ رضوان الله عليه ــ ليكتب شروط الصلح ، فقال : [ أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ] ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : [ اكتب باسمك اللهم ] ، فكتبها ، ثم قال : [ اكتب : هذا ما صالح عليه

محمد رسول الله سهيل بن عمرو ] ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله ﷺ : [ أكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو] .

واصطلحا على إيقاف الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وكان لذلك أثره فى قوة الدعوة مستقبلاً ، والتمكين لها بكثرة المتحالفين مع الرسول ﷺ ، وقد ظهر أن بعض الشروط برد من قدم مسلماً بغير إذن وليه كان فى صالح الدعوة ، فقد أفاد الدعوة المستضعفون الذين كان يردهم الرسول ﷺ على قريش ، كعتبة بن أسيد المكنىً أبا بصير الذى قدم المدينة هارباً من قريش فأرسلت فى إثره رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، وردّه الرسول معهما لأن الرسول لا يغدر ، ومع ذلك قتل أبو بصير الرجل من بنى عامر بسيفه ، ثم كوّن هو وبعض المستضعفين الذين كانوا حبسوا فى مكة فهربوا ، وكونوا فريقاً وصل إلى سبعين رجلاً ، وضيقوا على قريش حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم وأخذهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه فى المدينة ، وهكذا تبين أن الشرط كان فى صالح المسلمين لا ضدهم .

وهى خطط أنجحت الدعوة المحمدية أيما إنجاح .

# سياسته ﷺ فى الدعوة

كانت حكمة الرسول ﷺ وفكره السياسى لإنجاح الدعوة حافزاً على اتخاذ السبل التى تفيد الدعوة وتفتح المجالات الواسعة لانتشارها وعمومها ، كما تفيد الأمة الإسلامية فى أمنها واستقرارها ، وتقدمها وتهيئة الوسائل التى تسعى بها إلى الخير والعزة والكرامة .

وقد كان صلح الحديبية من العوامل التى أدت إلى قوة المسلمين لا إلى إضعافهم على الرغم مما بدا ظاهراً من أن بعض شروط الصلح كانت مجحفة للمسلمين ، وكان داعياً إلى غضبهم .

لكن الرسول الكريم أدرك بخبرته السياسية أن هذا كان فائدة للدعوة لا ضرراً عليها .

ومن هذه الشروط التى كان يبدو ظاهرها مجحفاً : أن من قدم إلى محمد مسلماً من أهل مكة ومن يدخل فى حوزة قريش من العبيد وغيرهم يجب عليه أن يرده إلى مكة ، ومن يترك محمداً ودينه راجعاً إلى أهل مكة لا يردونه إليه ، والشرط ــ هنا ــ يبدو أنه لايحقق المثلية بين الطرفين ، بل يميل إلى جانب قريش ، ويحيف على جانب الرسول والمؤمنين ، وغضب له المسلمون ، وكاد ذلك يؤدى إلى وقوع القتال بينهم لولا أن الرسول ﷺ تدارك ذلك بحكمته ، فالشرط ــ وإن كان ظاهره أنه

ظلم للجانب الإسلامى ، فإنه ــ فى الحقيقة ــ حقق نتائج طيبـــة للدعـــوة الإسلامية .

فالذى يرتد عن الإسلام ، ويرجع إلى أهل مكة علم شره ولا حاجـــة للمسلمين به ، لأن هذا ضرر حمى الله المسلمين من شره .

أما المسلم من أهل مكة الذى يقدم على النبى ﷺ فإن رده إلى أهـــل مكة لا يضره ، لتمسكه بدينه ودفاعه عنه ،وقد حدث أن بعض من أســـلم من أهل مكة قدموا على النبى ﷺ فبين لـــهم أنـــه لا يغـــدر ولا ينقـــض المعاهدة المبرمة بينه وبين قريش فى هذا الأمر ، وردهم .

ولكن هؤلاء المسلمين الفارين من وجه قريش كونوا حوالى ســـبعين رجلاً أو أكثر قطعوا طريق القوافل القرشية ، وهددوها تهديداً شديداً لدرجة أن أهل مكة استغاثوا بالرسول الكريم ﷺ ليقبلهم عنـــده ليســـتريحوا مـــن شرهم .

وهذا كان له أثره فى نمو الدعوة وانتشارها .

# منهجه صلى الله عليه وسلم منهج تأمين الناس على حقوقهم

إن الرسول ﷺ يثبت بدعوته للناس أنه لا يأخذ شيئاً بغير حقه ، ويضرب المثل فى الزهد فيما فى أيدى الآخرين ، وإبقاء حقهم لهم لا يعتدى أحد عليه ، فجماعة المسلمين هى جماعة الحق تعتد به لأصحابه .

وكان كل همه ﷺ أن يعرض أصول دعوته على الناس وهى تقوم على عبادة الله الواحد ،وعلى إثبات أن أى مواطن فى ظل هذه الدعوة له الحق كاملا غير منقوص ، وإن دخول الدعوة الإسلامية وانتشارها فى بلد يعنى عدم المساس بما للآخرين من حقوق .

فهذا على بن أبى طالب ــ يوم فتح مكة ــ يأخذ مفتاح الكعبة فى يده ، والنبى ﷺ فى المسجد الحرام ، فيقول له : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة والسقاية صلى الله عليك ، فقال له الرسول ﷺ :[ لا . أين عثمان بن طلحة ؟ ] فدعى له فلما حضر قال له :[ هذا مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء ] .

إن الغزاة الفاتحين إذا تمكنوا من شىء لأعدائهم سلبوه منهم ، واستأثروا به لأنفسهم طمعا وجشعا وعدوانا ، وكم عرفت البشرية من هجمات شرسة على مجتمعات آمنة روعتها ، وأفزعتها ، وسلبت كل

ما فى أيديها من معالم الحضارة ، أو مختصات الشـــرف ، وقـد عـانى المجتمع العربى والإسلامى فى كثير من أقطاره مـــن ويـلات الحـــروب الاستعمارية التى استولت على مقدراته ومخصصاتـــه ومـــوارد رزقـــه ، وتركته يئن من آلام الفقر والمسكنة ، ولم تبق له ولم تـــذر، وكـــم عـــانى غيرها كذلك .

ولكن رسول الله ﷺ يبين أن دعوته لإحقاق الحقوق ، وأنه لا يفعـــل شيئاً إلا من أجل الدعوة إلى الله لا طمعاً فى مال ، ولا فى ســـلطان ، ولا فى رياسة وإنما يُعنى بنشر عبادة الله ، والعمل لتوجيه الناس إلـــى تقـــواه وخشيته لتستقيم الحياة .

وهكذا يرعى صاحب هذه الدعوة كل شأن ، ويترك لكل صاحب حق أن يبقى حقه فى يده وتحت تصرفه ، ولو لم يكن على ملته ، ولو لم يدخل فى الإسلام . إن عثمان بن طلحة الذى أبقى الرسول فى يده ــ وفـــى يـــد أسرته ــ مفتاح الكعبة لم يكن قد أسلم بعد ، ومع ذلك بقى هذا الأمن لـــه واستمر إسناد مفتاح الكعبة إليه لا عدوان عليه ولا على شىء من حقوقـــه الشخصية والاجتماعية والدينية على سواء .

# الحلم والكرم من مناهج الدعوة

إن الدعوة لكى تنجح لابد أن يكون صاحبها ذا حلم بعيداً عن الانتقام والتشفى ، وقد كان النبى ﷺ لا يحب الانتقام لنفسه ، بل يصفح ويعفو ، فهذا صفوان بن أمية مع ما عُرف عنه من كراهية للرسول ﷺ ومحاولة التخلص منه قد أمنه الرسول ﷺ بعد فتح مكة ،وكان يمكنه الانتقام منه ، وقد أبلغه بالأمان عمير بن وهب الذى أبلغه أمان رسول الله ﷺ ، وحمل إليه عمامته عنواناً على هذا الأمان .

ولما قدم على الرسول ﷺ قال : اجعلنى بالخيار شهرين ، فقال له : [ أنت بالخيار أربعة أشهر ] وهكذا فالرسول كان أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس وكان يفتح أبواب الدعوة والإقناع لمن أراد غير مكره لأحد على الإسلام .

وهذا أبو سفيان يوم الفتح يطلب له العباس بن عبد المطلب الأمان ، وكان العباس يحدثه أن الرسول لو ظفر به ليضربَنّ عنقه ، ثم أركبه العباس بغلة رسول الله ﷺ ــ خلفه ــ ليلة الفتح ، وكلما مرّ بكتيبة أو لواء من ألوية المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، وقد كان عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عرف أبا سفيان ، فأسرع إلى رسول الله ﷺ يقول : هذا أبو سفيان

أمكننى الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأضرب عنقه ، فقال العباس : قد أجرته يا رسول الله . فمهلاً يا عمر ، ثم طلب الرسول ﷺ من العباس أن يذهب بأبى سفيان إلى رحله ثم يعود به فى الصباح ، وحينما جاءه عرض عليه الإسلام قائلاً : ويحك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاَّ الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : [ ويحك يا أبا سفيان .. ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأجملك وأوصلك ، أما هذه فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس ، ويحك أسلمْ واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

وهذا طريق إنجاح الدعوة ، فالعفو مطلوب ، والأمن مطلوب ، ومن طلبه أعطيه ، كما قال تعالى متحدثاً عن الوفاء بالعهد لمن أراد الأمان حتى ولو كان كافراً : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ (١) .

وقد أرسى ﷺ مبادئ حرية الرأى ، والتسامح ، تلك الأسس التى قام عليها بناء الدولة الإسلامية ، ليضرب قائدها الأول المثل الأعلى فى قبول الرأى ، والرأى الآخر على أساس من القيم الإسلامية التى تقابل الحدة والشطط بالإدراك للمسئولية ، والحفاظ على كيان الأمة وعدم المساس بأمنها وسلامتها ، وتبرهن على أن الإسلام لا يقوم على العنف والقتل ،

---

(١) التوبة : ٦ .

أو التعدى ، بل يقوم على الإقناع بالحجة والدليل ، وعرض الأمر أمام أصحاب الرأى والمشورة ، والأخذ بالآراء المعتدلة فى معالجة الأمور .

ها هو ذا النبى ﷺ تصدى لبعض المعارضين ، فيقابلهم بالحجة ، ويبين لهم أنه لا يضيره ولا يغضب لما يوجه إلى شخصه الكريم من لوم على تصرف ، أو نقد لوجهة نظر ، إذا اعتُرض على حكم أمضاه .

ويعالج نقد الناقدين بما يبصر بصحة الحكم ، وسلامته فى روية وأناة .

ثم إنه فى مجلس وزرائه ، ومستشاريه يمسك بزمام الأمور ، فلا يدع الأمر يفلت من يده ، فيسمح لهم بإبداء وجهات النظر ، وينفذ منها ما يراه مدعماً لأمن الدولة ، ومحققاً لسلامة أهلها دون أن يستعمل القسوة أو الانتقام .

يحدث أبو سعيد الخدرى ــ فيما رواه البخارى بسنده ــ قال : بعث على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية ( وهى قطعة من الذهب الذى غنمه المسلمون من أعدائهم ) وكانت تبراً ، فقسمها النبى ﷺ بين أربعة نفر ، هم : عيينة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحقَّ بها من هؤلاء ، قال أبو سعيد : فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فقال : **[ ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً ؟ ]** قال : فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمّر الإزار ،

فقال يا رسول الله : اتق الله ، قال : **[ ويلك ، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله ؟ ]** قال أبو سعيد : ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد ، وفى رواية : قال عمر : يا رسول ألا أضرب عنقه ؟ قال ﷺ : **[ لا ، لعله يكون يصلى ]** ، فقال خالد : وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، قال رسول الله ﷺ : **[ إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم ]** قال :ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ ( يعنى وهو منصرف مولٍّ ) إنه يخرج من ضئضئ هذا ( أى ــ من نسله ) قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنّهم قبل ثمود[1] .

وترى ــ أيها القارئ الكريم ــ من هذا الحديث أن النبى ﷺ قسم الذهبية بين أربعة نفر جلهم من المؤلفة قلوبهم ، ولما تدخل الرجل الأول معترضاً على هذه القسمة نبهه النبى ﷺ على أنه نبى الله الأمين على وحيه ، ولأنه لا يتصرف إلا بما فيه المصلحة للأمة ، ولخيرها ، ولما ينفعها ، ليرد كيد الكائدين ويمنع أهل الشغب من إحداث القلاقل والفتن ، ولما قام الرجل الثانى ووجه للنبى ﷺ حديثه الغليظ ، قائلاً له : اتق الله ، كان النبى ﷺ متحليا فى رده بالحكمة السياسية والخلقية ، وبحلمه الواسع ، وصدره الرحب ، إذ لا يقبل أى إنسان يوزع العطايا على بعض مرءوسيه ، أو يوزع عائداً من عوائد الدولة على بعض الناس ممن يراهم أكثر حاجة من غيرهم ، لا يقبل أى إنسان فعل ذلك أن يوجه إليه اللوم

---

(١) عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ، ج١٨ ، ص٧ .

على هذا التصرف الذى لم يدرك حكمته ، ولا أهدافه ، ولا آثاره التى تفيد فى إصلاح طوائف من المجتمع .

ولو أن لائماً لام رئيساً له على مثل ذلك لقوبل فى مجتمعاتنا الحديثة بالصرامة والعنف والجزاء الرادع له لخروجه على التقاليد المرعبة .

ولما أراد بعض كبار الصحابة قتل الرجل نهاهم النبى ﷺ عن ذلك لاحتمال صدقه فإن الرجل يقيم الصلاة فيشفع ذلك له .

والنبى ﷺ يعامل الناس بحسب ظاهرهم ، لا بحسب الباطن من أمرهم ، ويضرب الرسول ﷺ مثلاً عالياً فى عدم الأخذ بالشبهة والظنة ، ولم يحكم على الرجل بأنه كافر أو منكر للنبوة ، إذ لا يحكم على إنسان بذلك لمجرد بادرة تبدر منه ، فالأمور الداخلية لا يعرفها إلا الله سبحانه الذى لم يأمر بالأخذ بالشبهة والظنة **[ إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم ]** .

ثم نبه النبى ﷺ على ملاحظة هذا الصنف من الناس ، وألا يتركوا دون مراقبة ، فقد نظر إلى الرجل ، وبين ما يحدث مستقبلاً من خروج نسله ، متمثلين بسلوكه المشين الذى يخرجهم من طاعة أولياء الأمور ، وعلى الأمة أن توجه مثل هذا النشء بتوجيهه الوجهة الصالحة ، فهو نذير للأمة كلها .

# ملاقـاة الوفـود
# وشرح الدعوة لهم

لم يأل النبى ﷺ فى سبيل نشر دعوته أن يغشى الساحات كلها ، وأن يبذل جهده فى اللقاءات التى قد تثمر فى اتجاه الناس إلى الإسلام ، ودعوتهم إلى الله ، وكانت تلك اللقاءات تقوم على عرض وجهته لهم فى أسلوب جذاب وفكر مستنير وحجج وإقناعات لا تعرف الإكراه أو البغى أو البطش ، وإنما يلتقى بهم فى حفاوة وتبجيل ، ويسمع منهم وجهة نظرهم ثم يعرض عليهم ما جاء به عن ربه عرضا طبيعيا ويطلب منهم النظر فيه لأنهم سيجدون فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة .

فهذا وفد تميم يقدم على رأسه عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى فى وفد من أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان ابن بدر التميمى أحد أشراف بنى سعد وغيرهم ، وينادون الرسول ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد ، وقد آذى رسول الله ﷺ صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك ، وقد نزل فى أمرهم : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ [1] .

---

(١) الحجرات : ٤ .

وقد تركهم الرسول ﷺ على طبيعتهم وسمح لهم أن يقولوا ما يريدون ، فأذن لشاعرهم وخطيبهم أن يقول ، فافتخر خطيبهم بعزهم وكثرة عددهم ، وعطاياهم ، ثم جعل رسول الله ﷺ خطيبه ثابت بن قيس الشماس يجيب خطيبهم باصطفاء أشرف الخلق محمد ﷺ نبيا ورسولا كريما ، ودعوته إلى إيمان الناس بالله تعالى ورسوله وأن من صد دعوته واعتدى عليها فله القتل والدمار .

ثم جاء دور الشعر فتكلم الزبرقان بن بدر مفاخرا بقوله :

**نحن الكرام فلا حي يعادلنا**

**من الملوك وفينا تنصب البيع**

حتى انتهى من قصيدته ، فدعا الرسول ﷺ شاعره حسان بن ثابت فأنشد قصيدته في الرد عليه قائلا :

**إن الذوائب من فهر وإخوتهم**

**قد بينوا سنة للناس تتبع**

وكانت قصيدة حسان بيانا للناس أوضح أثر الرسول وأصحابه في الشجاعة والخير والفضائل .

**أكرم بقوم رسول الله قائدهم**

**إذا تفاوتت الأهواء والشيع**

وهكذا كان العرض على وفد تميم بما يوضح مآثر الإسلام ورسالة محمد ﷺ .

فهي مبارزة إعلامية أدت في النهاية إلى إسلامهم .

# كتبه ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من العرب

سلك الرسول ﷺ فى إيضاح دعوته للناس طرق الإعلام لمن لم يسمع بالدعوة من غير من يعيشون فى مكة أو المدينة ، ليشرح أصول دعوته لهم ، فبعث إليهم بالكتب والرسل ليبلغوهم الرسالة الجديدة ومبادئها التى تنفعهم فى دنياهم وأخراهم .

فهذا كتابه ﷺ إلى يهود خيبر يقول فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى إلا أن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ [1] .

وإنى أنشدكم بالله بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس لآبائكم حتى

---

(١) الفتح : ٢٩ .

أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى فأدعوكم إلى الله ، وإلى نبيه ".

إنه حجاج منطقى ، واتخاذ لطرق الإقناع ، فهو يطلب منهم الإيمان بما عندهم فى كتابهم " التوراة " ، ويسلك معهم مسلك المودة حين يحدثهم عن أخيه موسى ، فهو يعلن لهم تصديقه لرسالته ،وما جاء به فى عصره ، ويطلب منهم الإيمان بمحمد لأن موسى أخبر عن رسالته ، وعن أمته ، فليبحثوا عن صفته ـ عندهم ـ فى التوراة ، ليثبتوا أنه رجل حق لا يطالبهم إلا بما ثبت فى كتبهم إن كانوا مخلصين مؤمنين .

وعلى هذا أرسل الرسول رسله وكتبه إلى بعض القبائل العربية ، فقد أرسل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ودخلوا فيما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام ، وكتاب الله ، وسنة نبيهﷺ إلى أن كتب إليه الرسول ﷺ يأمره بالمجئ بعد أن علم من خالد ـ فى رسالة منه ـ بإسلامهم فقدم مع وفد لهم إلى رسول الله ﷺ .

كما كتب الرسول ﷺ كتابا إلى قوم رفاعة بن زيد الجذامى الذى أسلم وحسن إسلامه وفيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة ابن زيد إنى بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله .. إلخ " ، وقد أجابوا وأسلموا . ومثله كتابه ﷺ إلى مخلاف

خارف ــ مدينة فى اليمن ــ ومن يقيم بها من قبيلة همدان أرسله مع مالك بن نميط ، أحد وفد همدان الذى قدم إلى رسول اللهﷺ من قبل .

وهكذا نجحت دعوته ﷺ لهؤلاء وغيرهم ممن أرسل إليهم وتركوا ما كانوا عليه من معبودات واعتقادات إلى عبادة الله وحده وآمنوا ــ بعد اقتناع ــ بما جاء به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

# منهج الإعلام الخارجى

اتخذ الرسول ﷺ منهج الإعلام الخارجى لمن حوله من الدول ، فأرسل كتبه إلى بعض الملوك [1] ، فأرسل إلى كسرى شيرويه ملك الفرس ، وإلى هرقل عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر وإلى ملك الحبشة والبحرين واليمامة .

وكانت كتبه إليهم إظهارا لنبوته ، ودعوة لهؤلاء الذين يقودون أقوامهم بالحسنى ، ليصلوا إلى الحق بالإيمان بمحمد ﷺ موضحا لهم أن الرسالات الإلهية متتابعة ، وأن رسالتهﷺ امتداد لهذه الرسالات ، وأن الكتب السابقة على القرآن الكريم فيها نبأ بعثة محمد ﷺ ، وفيها أن من يصاحب بعثته فعليه الإيمان به ، ومن لم يؤمن به فإنه آثم إثما كبيرا ، وهذا ما تحفظه كتبهم السابقة كالتوراة والإنجيل .

---

(١) كانت هذه الكتب عقب صلح الحديبية سنة ٦ من الهجرة ، وقيل غير ذلك . انظر صحيح البخارى بشرح العينى ــ ج١٨ ، ص٥٨ ،والسيرة النبوية للأستاذ / محمد محمد مصطفى النجار ، ط عام ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، ص٢٤٥ .

وكان يصدر هذه الكتب بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد **عبد الله ورسوله إلى كسرى ملك الفرس** " [1] ، أو " **إلى هرقل عظيم الروم** " [2] أو " **إلى المقوقس عظيم القبط** " [3] ، أما بعد ،، **سلام على من اتبع الهدى . أسلم تسلم فإن لم تسلم فعليك أثم كذا** .

---

(١) **نص كتابه إلى كسرى** : " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، أما بعد . السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك أثم المجوس " العينى على البخارى " ، ج١٨ ، ص٥٨ ، وقد تلقى كسرى كتاب الرسول وهو بالمدائن عاصمة ملكه ، وقد مزق الكتاب ودعا عليه الرسول حينما بلغه ما صنع بأن يمزق الله ملكه ، فمزق سريعا فى أقل من عشرين سنة ودخل تحت حكم المسلمين ، انظر ( العينى السابق والسيرة النبوية السابقة ، ص٢٤٧ ) .

(٢) **نص كتابه ﷺ إلى هرقل** " : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . أما بعد : السلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾** ( آل عمران : ٦٤ )

(٣) لما تسلم المقوقس كتاب النبى ﷺ قابله باحترام واستقبل الوفد استقبالا حسنا ، وزود الوفد بهدايا قيمة ، ومال إلى الإسلام لكنه كان ينتظر موقف هرقل الذى يحكم مصر من قبله ، ونص كتابه ﷺ إلى المقوقس : " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ،، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط : **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به =**

وهذا يعنى أن الرسول ﷺ كان يشرح لهم رسالته مؤكدا صدق الرسالات السابقة ، ومبينا أن رسالته امتداد لها ، وإن الإيمان بمحمد ﷺ ورسالته يعنى أن يأخذ المؤمن بها من أهل الكتاب أجرين ، الأجر الأول عن إيمانه بموسى أو عيسى عليهما السلام ، والأجر الثانى عن إيمانه بمحمد ﷺ ، وإن أعرض خسر الأجرين معا ، وحل به الإثم الذى ذكرته التوراة ، أو الإنجيل لمن يدرك محمدا ولا يؤمن به .

وهذا حجاج علمى قديم جاء به القرآن ــ أيضا ــ على سبيل التذكير لهؤلاء ، كما قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾** (١) .

فالكفلان نصيبان من الثواب نصيب الإيمان السابق ، ونصيب الإيمان بمحمد ﷺ .

---

**= شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾** ( آل عمران : ٦٤ ) .

ورد المقوقس على كتاب رسول الله ﷺ بكتاب آخر ردا جميلا يقول فيه : ( أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، فقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة ، ومطية لتركبها والسلام عليك ) . انظر : ( عيون الأثر ٢ /٢٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٣/٨٥ ) .

(١) الحديد : ٢٨ .

وكان يحمل تلك الكتب إلى الملوك سفراء من أصحاب رسول الله ﷺ من التجار الذين ترددوا على هذه الأقطار ، وتعرفوا لغاتها ، واتخذ الرسول لنفسه خاتما من فضة نقش عليه ( محمد رسول الله ) فختم به الكتب وأعطاها للسفراء ، وقد بعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس .

وبعث وصية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم .

وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة .

وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر ، وكان بالإسكندرية وقت تسلمه الكتاب .

وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر ، وعباد ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان .

وبعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين .

وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام .

وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن كلال الحميرى ملك اليمن [1] .

---

(١) السيرة لابن هشام ١٨٧/٤ ، والسيرة لمحمد مصطفى النجار ، ص٢٤٥ .

وهذا كله كان عناية من النبى ﷺ بأمر الدعوة إلى الخارج ، لأنـــها دعوة عامة للناس جميعا ، كما قال تعـــالى : ﴿ **ومـــا أرســـلناك إلا كافـــة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾ [1] ، وقال ﷺ : [ **بعثت إلى الناس كافة** ] .

---

(١) سبأ : ٢٨ .

# تصحيح مسار الدعوة
# على الفهم الصحيح للإسلام

إن الداعية لابد أن يكون على علم بكل أمر يجرى من حوله أو يتصل بمن يقوم بدعوتهم ، فإذا وجد مشكلات قد طرأت ربما تؤدى إلى عواقب ذوات أثر ضار بالدعوة فإنه يسرع إلى علاجها ، والتصدى لها ببيان الوجه الصحيح فيما عرض من مشكلات ، أو وجد من فهم خاطئ ، وتلك هى أسس الدعوة ، ووسائلها الصحيحة ، لا أن يعيش الداعية بعيدا عن المشكلات ، ويتناول أمورا لا صلة لها بالمجتمع والحياة .

هذا رسول الله ﷺ يجد ثلاثة من أصحابه يذهبون إلى بيته يسألون عن عبادته ﷺ ، فيعرفون أنه يصلى كذا ، وينام ، وأنه يزكى كذا وأنه يصوم كذا ، وأنه يؤدى من سائر الطاعات كذا ( فكأنهم تقالوها ) ــ أى عدوها قليلة ــ فقال بعضهم لبعض : إن النبى ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو ــ لذلك ــ يؤدى قليلا من الطاعات ، فتعاهدوا فيما بينهم ، فقال أحدهم : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ،وقال الثانى : وأنا أقوم الليل ولا أفتر ، وقال الثالث : وأنا لا أتزوج النساء ، فلما علم الرسول ﷺ بما اتفقوا عليه لم يترك الأمر هكذا ، وإلا لم يكن ساهرا على أمر دعوته إلى الله ورعايتها ليبين الوجه الصحيح فيها وفيما يفعل القوم أو يتركون .

فخرج ــ عليه الصلاة والسلام ــ فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : " **ما بال رجال يقولون كذا وكذا ؟ أما والله إنى**

**لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكنى أصلى ، وأنام ، وأصـــوم ، وأفطـر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى "** .

فبهذا أدركت هذه الجماعة خطورة ما أقدمت عليـــه ممـا يخـالف ما جاءت به الشريعة الإسلامية التى لا تعرف الشدة والإثقال ، ولا تعـرف إرهاق النفس والجسم بصعاب الأعمال ، ولا تعرف العزلة عـــن الحيـاة أو الرهبانية ، فلا رهبانية فى الإسلام .

وهكذا فالمطالب بالإسلام مطالب بمبادئ تصلـح نفســه ، وتصلـح مجتمعه ، وليست الدعوة قهرا للنفس ، وإتعابا لها ، وهكذا يختلف الإسـلام عن النحل والديانات التى جعلت الزهد والتنسك معيارا للفضائل الدينيـة ، وجعلت الإنسان يعيش معزولا عن مجتمعه ، وأمته فالإسلام دين ودنيـا ، وكما قال تعالى : **﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبـاده والطيبـات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلـك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾** [1] .

كم نرى خطباءنا ودعاتنا بحاجة إلى تنبيه الناس إلى إصلاح حياتـهم وسلوكهم وفق ما جاء به الإسلام وألا يتركوهم ليقول كـل فـى الإسـلام بما لا يصح أن يقال أو يفعل ، وبذا تنجو الدعوة من الذين يقولـون فـى الدين بغير علم أو معرفة فيضلون ، ويضلون من يجرى فى فلكـهم ، أو يسير على منهجهم المتشدد الضار .

---

(١) الأعراف : ٣٢

# دعوة التيسير

من الأمور التى يتخذها الداعية طريقا لنشر الدعوة أن يعرض دعوته فى صورة سهلة ، ويتخذ الحلول التى تؤدى إلى خير الناس ، وإلى عدم تضييق الأمر عليهم ، ما دام ذلك لا يتعارض مع قواعد الشريعة .

فالإسلام جاء لصلاح البشرية وخيرها، وإبعادها عما يضع عقبات فى سبيل انطلاقها إلى آفاق رحبة من التقدم ،ولا يكلف النفوس شططا ولا مشقة ، وبذلك يفتح الطريق لنجاح الدعوة والاستجابة لها .

أما هؤلاء الذين يبحثون عما يسد الطرق أمام الناس وينغص عليهم حياتهم ، فذلك يدفع إلى الابتعاد عن تلك الدعوة ، والنفور منها .

وقد كان ﷺ فى منهجه للدعوة يسلك طرق التيسير ، ويبحث عما ينفع الأفراد ، والجماعات ، ويبتعد عما يحجب عنهم الخير ، أو يتعبهم ، ويقلقهم ، أو لا يناسب إمكاناتهم ، وطاقاتهم التى يمكن أن يبذلوها ، وما يمكن أن يتحملوه .

هذا النبى ﷺ حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : **يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر** " ، وقال له فيما قال : " **ادعهم إلى الشهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم شهدوا بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها**

**وبين الله حجاب** " وهكذا علمه ﷺ الرفق بهم ، والتدرج في التكاليف الشرعية ، وحينما جاء أعرابى إلى النبى ﷺ ، وقال له يا رسول الله علمنى ما افترض الله على فى الإسلام وفى رواية علمنى عملا أدخل به الجنة ، فقال له النبى ﷺ : **فرض الله عليك خمس صلوات فى اليوم والليلة** فقال الأعرابى : هل على غيرها ؟ قال له النبى ﷺ : لا . إلا أن تطوع ، فقال له فما فرض الله على فى الصيام ؟ قال له **فرض عليك صيام شهر رمضان** ، قال : هل على غيره ؟ قال له : **لا . إلا أن تطوع** ، ثم بين له فرض الزكاة ، والحج وهو يقول : هل على غير ذلك ؟ ويقول له النبى ﷺ : لا . إلا أن تطوع فقال الأعرابى : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبى ﷺ : **أفلح إن صدق** ، وفى رواية : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

هكذا يبشر الرسول ولا ينفر وييسر ولا يعسر .

فما أحوجنا نحن الدعاة إلى الله أن نفتح للناس باب التيسير فى عبادتهم ومعيشتهم ، وأمورهم ، وأن نبين لهم فتاوانا وآرأءنا فى مسائل الدين بما يفرحهم ويسرهم ، ونأخذ بأيديهم سواء كان ذلك فى صلاة أو صيام أو حج أو معاملة أو سلوك اجتماعى ، وأمور دنياهم وما يأتون وما يدعون من الأعمال والأقوال ، وأن نفتح أمام التائب منهم أبواب التوبة ولا نغلق طريق الرحمة فى وجههم ، بل نبين لهم رحمة الله الواسعة ودين اليسر ،وحبه لمن يدخل فيه وإكرامه له ،ولا حرج ولا تضييق فى شرع الله .

# الترغيب والترهيب

إن الداعية إلى الله لكى تنجح دعوته لابد أن ينصح قومه ، والتابعين له ، ويؤثر عليهم تارة بالترغيب ، وتارة أخرى بالتخويف ، ويوازن بين الأمرين ليحدث التأثير على النفس البشرية ، فهى دائما بين الطمع والرجاء ، والخوف والرهبة ، أما التركيز على جانب واحد فقد يكون له أثر ضار على الدعوة .

وقد جاء القرآن الكريم مشتملا على العنصرين معا فهو يذكر أن الله غفور رحيم ، ويذكر أنه شديد العقاب ، كما قال تعالى : ﴿ **حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ [1] . ويقول عز حكمه : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا** ﴾ [2] .

---

(١) غافر : ١ــ٣ .

(٢) الكهف : ٢٩ــ٣١ .

وهكذا يرد فى القرآن الكريم كثيرا التوازن بين الرحمة والشدة والتجاوز والمعاقبة .

والرسول ﷺ كان يجمع بين الأمرين فى دعوته للناس ، فيرغبهم فيما عند الله من الفضل والنعم والجنة ، ويخوفهم من عذابه ــ أيضا ــ حتى يستقيموا على طريق الله ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " **إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل أتى قوما فقال : إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا فنجوا ، وكذبته طائفة أخرى فصبحهم الجيش فاجتاحهم** " .

فالرسول ﷺ يبين لهم أثر الإيمان بدعوته ، والإعراض عنها ، فمثله فى دعوته لهم ودلالتهم على ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم ، مثل هذا الرجل الذى كان يرسله قومه لاستطلاع أخبار العدو الذى يريد أن يهاجمهم ، فإذا عرف أن جيش الأعداء يريد الهجوم على قومه صعد إلى أعلى الجبل ، وخلع ثوبه ، ولوح به فى الهواء فيراه قومه فيعلمون ــ على حسب اصطلاحهم الذى تعودوا عليه ــ أن الجيش قادم إليهم فيستعدون له ، أو يهربون من وجهه لينجو من شره الذى يريد إنزاله بهم .

**فجيش الله قادم إلى الناس ، والنبى ﷺ منذر ، فمن آمن بالله ورسوله وعمل الصالحات لاقاه الجيش فى مودة ومحبة ، ولم ينزل به أذى ، وأما من عصى أمر الله ورسوله فإن عذاب الله نازل به لا محالة وقاض عليه .**

لعل خطباءنا ودعاتنا يستعملون التحبيب فى الطاعة والتخويف من المعصية ، دون أن يقتصروا على جانب التخويف فحسب ، حتى تنجح دعوتهم ، ويقبل عليها الناس .

# تواضع المؤمنين

امتدح الله تعالى صفة التواضع ، وقبح من الكبر البشرى فالتواضع خلق كريم من أخلاق الإسلام السمح ، وقد جعل المولى سبحانه المتواضعين من عباد الرحمن المنسوبين إلى جلاله سبحانه كما قال تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا** ﴾ [1] . فهم الذين يتبعون تعاليمه ويدينون بالولاء والطاعة والانقياد للأوامر الإلهية ، لأنهم يحبون الناس ، ويخفضون لهم جناحهم من الذل ، ويعدون أنفسهم سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وقد ولدوا من أب واحد ، وأم واحدة ، فلا تفرق بينهم الألقاب ولا الأحساب ، ولا الغنى أو الفقر ، ولا المناصب والرتب ، وليست العصبية القبلية إلا من دس الشيطان وكيده ، والمال رائح وغاد ، وآت وزائل ، وحطام الدنيا الفانى كله إلى زوال ، وكل شئ يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر ، فيصبح الفقير غنيا والغنى فقيرا ، وصاحب المنصب يمكن أن يزول عنه بهاؤه ورواؤه بين عشية وضحاها ، إن الله تعالى قد حسم ذلك يجعله الناس سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وقد قال سبحانه :

---

(١) الفرقان : ٦٣ .

**﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** (١) .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه مر عليه رجل غنى ، فقال ﷺ لأصحابه : **ما تقولون فى هذا ؟** فقالوا : حقيق إذا خطب أن ينكح وإن قال أن يستمع ، وإن شفع أن يشفع ، ثم مر رجل فقير ، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : **ما رأيكم فى هذا ؟** فقالوا حقيق إذا خطب ألا ينكح وإن قال ألا يستمع وإن شفع ألا يشفع ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا ــ يقصد الرجل الفقير ــ **خير من ملء الأرض مثل هذا** ــ يقصد الرجل الغنى ــ فبين ﷺ أن مقاييس الناس مقلوبة فى نظرهم ؛ فينظرون إلى الغنى نظرة تقدير فى الوقت الذى ينظرون فيه إلى الفقير نظرة ازدراء .

والأولى والأجدر تقدير الناس بعضهم لبعض ، وأن يتواضع الإنسان دون فخر أو كبر كما قال تعالى : **﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾** (٢) .

وقد كان الرسول ﷺ مثلا فى التواضع الجم ، فقد كان يسير أو يجلس بين أصحابه فلا يكاد يعرف ، لأنه لا يميز نفسه منهم حتى كان القادم عليه طالبا له يسأل : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وحينما دخل عليه رجل

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) الإسراء ، ٣٧ ــ ٣٨ .

ـــ وقد هابه ـــ قال له : هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديـــــد بمكة .

والكبرياء لله تعالى وحده ، لا يصح أن يشاركه فيها غيره فهو الكبير المتعالى ، لأنه المنعم المتفضل على البشرية كلها ، وقد قال سبحانه فـــى الحديث القدسى " **الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فيـــهما أذقته عذابى ولا أبالى** " .

# خطبة الرسول ﷺ العالمية وحقوق الإنسان

حج رسول الله ﷺ حجة واحدة هى حجة الوداع ، وكان هذا إيذانا باكتمال الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [1] .

وكانت خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة النبوية خطبة عالمية تعد دستورا للأمة الإسلامية ، والعالم كله يجب معرفة ما اشتملت عليه من مبادئ وتعاليم تؤدى بالمجتمع الإنسانى إلى الاستقرار ، والأمن ، والنهضة والتقدم ، وستبقى ـ على مر الدهور ـ مجالا لتحليل ذوى الرأى ، وأهل الخبرة من الساسة ، والعلماء والمفكرين ورواد النهضة فى كل زمان ومكان ، بما تتناول من أحدث النظم والأفكار العالمية فى إصلاح المجتمعات ، والأخذ بيدها إلى عزها وسموها .

وهى تشتمل على عدة محاور تتناول حقوق الإنسان اعترافا بهذا وإعلانا لها قبل أن تعرف الدساتير البشرية هذه الحقوق ، وقبل أن تظهر مواثيق حقوق الإنسان فى العالم بعدة قرون .

---

(١) المائدة : ٣ .

## وهذه هى أهم المحاور:

### المحور الأول : الحفاظ على سلامة الأرواح والأبدان :

فتحدث النبى الكريم فى خطبته العالمية عن منع الاعتداء على النفس بالقتل وسفك الدماء ، فقال : " **أيها الناس إن دماءكم عليكم حرام** " ودعا إلى القضاء على ظاهرة الثأر بوسائل العفو والصفح عن القاتل ، ونبذ الأحقاد والتمزق بين الأسر ، والشعوب ، يقول ﷺ : " **إن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب** " .

### المحور الثانى : سلامة الأموال من العدوان :

فالرسول ﷺ ــ فى خطبته ــ منع الاعتداء على الأموال ، منع أى نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق ، فيقول : " **أيها الناس : إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت . اللهم اشهد** " وحرم أخذ الأموال دون رضا أصحابها ، أو رضا المجتمع الذى يملكها ، يقول ﷺ : " **أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت . اللهم اشهد** .

ومنع نجاسة الأموال ، وذلك عن طريق الكسب غير المشروع ، والحصول على المال الحرام من أى طريق ، وحرم مسلك عمه العباس فى جمع المال عن طريق غير شريف ــ وكان من أثرياء مكة ومرابيها ــ

يقول : [ إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ بـــه ربـــا عمـــى العباس بن عبد المطلب ] .

## المحور الثالث : سلامة الحقوق من الضياع :

فمنع الرسول الكريم ضياع الحقوق ، وحث الناس علـــى حفظـــها ، وصونها لأصحابها ، ليأمن الإنسان على حاجاته ومقتنياته أن ينال منـــها ، أو تصاب بأذى المعتدين عليها من أصحاب الذمم الخربة ، وحذر مما قـــد يقع على ممتلكات الآخرين من التلف ، أو الضياع أو استيلاء الغـير ؛ لأن هذا يضر الأمة فى رخائها وازدهارها ، يقول : [ فمن كانت عنده أمانـــة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ] .

## المحور الرابع : سلامة النفس من الهوى والزيغ والضلال :

فمنع ﷺ ونهى عن طاعة الشيطان ، والجرى وراء الشهوات التـــى تصيب الإنسان وتنأى به عن السلوك المستقيم ، يقول : [ أيها النـــاس إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيمـــا سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ] ويقـــول : [ وإن مـــآثر الجاهليـــة موضوعة إلا السدانة والسقاية ] .

## المحور الخامس : البعد عن اختلاف الآراء والأفكار بما يضر بالصالح الاجتماعى العام :

فنهى ﷺ عن تشتت الرأى وبعثرته ، فالخلاف يؤدى إلى التمزق ، والتقاطع، والضعف ، والتفكك والانحلال ، وحث ﷺ على الاتفاق فيما هو نافع مفيد بالاهتداء بالمثل العليا التى جاءت فى القرآن الكريم يقول : **[ فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله . ألا هل بلغت . اللهم اشهد ]** .

## المحور السادس : تكريم المرأة وسمو مكانتها فى الإسلام ودورها الفعال فى خدمة المجتمع :

فدعا ﷺ إلى العناية بها ، وبين حقوقها وواجباتها ،وجعلها ذات شأن فى إصلاح المجتمع ؛ لأنها أساس من أسسه القوية ، يقول : **[ أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، وعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت . اللهم اشهد ]** .

**المحور السابع : دفع التفاضل بالأحساب والأنساب ــ كما هى دعوى الجاهلية ــ وجعل العمل الجاد هو أساس التفاضل والدعوة إلى وحدة الأمم والشعوب :**

فقد دفع الرسول الكريم ﷺ أن يكون الحسب والنسب والمال والجاه والسلطان أساسا للتفريق بين الناس ؛ لأن الله تعالى خلقهم متساوين فى الحقوق والواجبات لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لأبيض على أسود إلا على أساس عمله ، وجهده ، وذكر الناس بأمرين لتحقيق الوحدة ، واجتماع الشمل هما : توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، وبيان ما يجب عليهم من معرفة وحدة الأصل الإنسانى ،فالناس يعبدون ربا واحدا ، وينحدرون من أب واحد مخلوق من التراب ، يقول : **[ أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى . ألا هل بلغت . اللهم اشهد . فليبلغ الشاهد منكم الغائب ]** .

# محتويات الكتاب


| الموضـــــــــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٢ |
| **الباب الأول**<br>**نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه** | ١٥ |
| حب رسول الله ﷺ | ١٧ |
| الميلاد المحمدى وتصحيح مسار الإنسان | ١٩ |
| مولد الرسول ﷺ وكيف نحتفل به | ٢٣ |
| رضاعته وشق صدره | ٢٦ |
| صفة النبى ﷺ | ٢٨ |
| المصطفى ﷺ | ٣١ |
| أبو القاسم ﷺ | ٣٣ |
| حرز الأميين | ٣٥ |
| نبى الملحمة ﷺ | ٣٧ |
| الشفيع ﷺ | ٣٩ |
| كان خلقه القرآن | ٤١ |
| الرحمة المهداة | ٤٩ |
| آدابه وسلوكه مع الناس | ٥١ |

| | |
|---|---|
| زهده ﷺ | ٥٣ |
| **الباب الثانى** | |
| **منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله** | ٥٥ |
| البعثة المحمدية | ٥٧ |
| الدعوة .. شرح وتفصيل وبيان | ٦٣ |
| الصبر على الإيذاء | ٦٧ |
| النقاش والمفاوضة | ٦٩ |
| الثبات على المبدأ | ٧٢ |
| استعمال النصح المقرون بالتصميم والإرادة | ٧٥ |
| الرياضة منهج من مناهج الدعوة | ٧٨ |
| عقد الندوات بطلب الخصوم والحصافة النبوية | ٨٠ |
| حدبه ﷺ على المدعوين ورعايته لهم | ٨٣ |
| طريق الدعوة ليس طريق العنف والقسوة | ٨٥ |
| عرضه ﷺ نفسه على القبائل | ٨٨ |
| الهجرة وحسن التخطيط | ٩١ |
| معالم بارزة فى الهجرة النبوية | ٩٨ |
| الهجرة والتضحية | ١٠٧ |
| التماسك والمؤازرة | ١١٠ |
| المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار | ١١٢ |
| منهج الرسول ﷺ أن يكون القتال دفاعاً لا هجوماً | ١١٥ |

| | |
|---|---|
| الأذن بالقتال | ١١٨ |
| انتصار بدر والدفاع المشروع | ١٢١ |
| أسلوب المعاهدات والصلح | ١٢٥ |
| استعمال الحكمة فى التعامل | ١٢٨ |
| سياسته ﷺ فى الدعوة | ١٣٠ |
| منهجه ﷺ منهج تأمين الناس على حقوقهم | ١٣٢ |
| الحلم والكرم من مناهج الدعوة | ١٣٤ |
| ملاقاة الوفود وشرح الدعوة لهم | ١٣٩ |
| كتبه ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى | ١٤١ |
| منهج الإعلام الخارجى | ١٤٤ |
| تصحيح مسار الدعوة على الفهم الصحيح للإسلام | ١٤٩ |
| دعوة التيسير | ١٥١ |
| الترغيب والترهيب | ١٥٣ |
| تواضع المؤمنين | ١٥٦ |
| خطبة الرسول ﷺ العالمية وحقوق الإنسان | ١٥٩ |

طبع
بمطبعة وزارة الأوقاف
بطرة البلد

# يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها :

## أمهات كتب التراث الإسلامى

سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - الأجزاء من ١ : ١٢
صفوة السيرة النبوية لابن كثير - الأجزاء من ١ : ٤
بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - الأجزاء من ١ : ٦
مختصر سيرة ابن هشام - الأجزاء ١ : ٢
إخلاص الناوى - الأجزاء من ١ : ٤
صحيح البخارى - الأجزاء من ١ : ١١

## سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

الموسوعة القرآنية
موسوعة علوم الحديث
موسوعة أعلام الفكر الإسلامى
موسوعة الحضارة الإسلامية
موسوعة التشريع الإسلامى

## المصحف الشريف

المصحف الشريف طباعة ٢ لون بسمة ذهب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإسبانية والإندونيسية .

- المصحف المعلم ٣٨ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطاً للقراء عبد الباسط عبد الصمد ، مصطفى إسماعيل ، محمود على البنا ، محمود خليل الحصرى

## وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى :

موسوعة الفقه الإسلامى - الأجزاء من ١ : ٢٨
الفتاوى الإسلامية مجلدة - الأجزاء من ١ : ٢٠
حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين
الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
ينابيع الأحكام فى معرفة الحلال والحرام

## مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات . جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية ( شرائط القرآن الكريم )
الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

**مواعيد العمل من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا**

وتيسيراً على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس ، أتباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية ، مع إجراء نسبة خصم البيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية .

الثمن ١٠٠ قرش
طبع بمطبعة وزارة الأوقاف